https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مراصد الصلاة

في مقاصد الصلاة

للمحدث الحافظ قطب الدين القسطلانى

المتوفى سنة ٦٨٦ هجرية

عنى بضبطه والتعليق عليه

رضوان محمد رضوان

المطبعة المصرية بالأزهر

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

893.791
Q125

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

من هو القطب القسطلانى ؟

هو محمد بن أحمد[١] بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن الميمون التوزرى الأصل . المكى الدار . القاهرى المنزل والوفاة . الامام العلامة الحافظ أبو بكر . عمدة السالكين . وقدوة الناسكين . بقية العلماء العاملين . أحد من جمع العلم والعمل . والورع والهيبة . نظر فى فنون من العلم فبرع فيها وعنى بهذا الشان فحصل جملة بالسماع والاجازة .

---

(١) هو الفقيه الزاهد . القدوة . كمال الدين أبو العباس أحمد بن على القيسى المصرى المالكى . قرأ الأصول على أبى منصور المالكى . والمذهب على الحسن بن أبى بكر القسطلانى . وصحب أبا عبد الله القرشى واختص بخدمته ودون كلامه وانتفع بصحبته وعنه أخذ الطريق . وسمع بمكة من يونس القاسمى وجماعة من الفضلاء وبمصر من أبى محمد عبد الله بن برى وغيره . وبها ولى التدريس بمدرسة المالكية . قال المنذرى : كان رضى الله عنه قد جمع الفقه والزهد وكثرة الايثار مع الاكثار . والانقطاع التام مع مخالطة الناس . توفى قدس الله سره بمكة غرة جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ولد بمكة المشرفة فى سنة أربع عشرة وستمائة . وسمع بها من والده . وعلى بن البناء . والشهاب السهروردى . ولبس منه خرقة التصوف . وغيرهم من شيوخها والقادمين اليها

ورحل فى سنة تسع وأربعين وستمائة فسمع ببغداد ومصر . والشام . والجزيرة . جمعا جما من أصحاب ابن عساكر والسلفى وغيرهم .

تفقه وأفتى وطلب الى القاهرة من مكة وتولى بها مشيخة دار الحديث الكاملية . ذكره الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس(١) فى أحفظ من لقيه فى أجوبته عن

---

(١) هو الامام . الحافظ . الأديب . أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس . الاندلسى . اليعمرى . المصرى . الشافعى . ولد سنة احدى وسبعين وستمائة . سمع من العز الحرانى . وغازى الحلاوى . وابن الانماطى . وخلائق . ولازم ابن دقيق العيد وعليه تخرج . وكان يحبه ويثنى عليه . قال الذهبى : هو أحد أئمة هذا الشأن . كتب بخطه المليح كثيرا . وخرج وصنف . وصحح وعلل . وفرع وأصل . وقال الشعر البديع . وكان حلو النادرة . كيس المحاضرة . جالسته وسمعت قراءته . واجاز لى مروياته . توفى رضوان الله عليه سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مسائل ابن ايبك فقال فيما كتب به الى الشيخ المعمر
ابو عبد الله محمد بن حسن بن على القرشى الفرسيسى المصرى
منها فى سنة سبع وثمانمائة وشافهتنى به المسندة الأصيلة
ام محمد رقية ابنة يحي بن مزروع المدنية بها فى شوال
سنة اثنتى عشرة وثمانمائة قال الفرسيسى ان لم يكن سماعا
انه كان ممن نظر فى العلوم فبرع فى علائها بحرا .
وطلع فى سمائها بدرا . وشارك فى فروع الفقه وأصوله .
وخاض فى معقول العلم ومنقوله . وعنى بطلب الحديث
احسن عناية . فحصل بالسماع والاجازة على كثير من
الرواية . وكلف بالأدب فدرت عليه ديمته . وجادت له
بما شاء شيمته . ثم أخذ فى طرق التصوف والتسلك .
والتعرف بأرج سلفه الصالح والتمسك . ففاضت عليه
عوارفها . فاجتنى غروسها يانعة . واجتلى شموسها طالعة .
وجمع فى ذلك مجموعات . وأوضح فى مجالسه موضوعات .
الى أن قال :

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ولى دار الحديث الكاملية فقام بها احسن قيام . ولم يزل معظما عند الخاص والعام . متصديا لابلاغ السنن واسباغ المنن . قائما بقضاء الحاج . على أحسن منهاج . من ارفاد مسترفد . وانجاد مستنجد . والتفريج عن مكروب . والتعريج على أكرم مطلوب . تلقاه بما شئت من أريحية وسجية سخية باد فضلها . وطريقة مثلى لم ير مثلها . الى أن تم حمامه . وانقطع من الحياة زمامه . فقضى . وغص بجنازته الفضا . ولم يشهد الناس مثل يومه مشهدا . ولا وردوا كثرة مثل نعيه موردا . وذلك فى ليلة الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وثمانين وستمائة . ودفن رحمة الله تعالى عليه بسفح المقطم *

---

* نقلا عن ذيل تذكرة الحفاظ للحافظ تقى الدين أبى الفضل محمد بن فهد المكى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أجزل لعباده من سنى الهبات . ما أجمل فيما نوع لهم من رضى القربات . وأكمل فى مراده من وسيع البركات . مارفع به من قدر وضيع الطلبات إلى رفيع الدرجات . وحصل من وذاده لمطيع العزمات فى قطع وصل الشهوات . مانفع به من كان ضر نفسه بالتعلق بحبل الشبهات

وصلى الله على سيدنا محمد الذى بعثه لخلقه حجة قامعة لما قام من شيطان النزغات . قاطعة لما دام من سلطان التبعات . وعلى آله وصحبه ومن رغب فى النجاة من الهلكات

وبعد فهذه «مراصد الصلاة . فى مقاصد الصلاة» جعلتها لنفسى تذكرة عند المناجاه . وتبصرة فى معاناة المراعاه . ووصلتها بما فيه عبرة فى الخلوات . لمن له خبرة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بالتفرقة بين الرغبات . ونحن وإن كنا قد سبقنا فيما له
قد قصدنا من هذه الجهات . فلنا أسوة بمن سبقنا ناسجا
على منوال من قبله فيما أتى به من المصنفات . على أنا
لا ندعى أنا نفى بما وافينا به من تلك الحالات . ومن تامل
ما أودعناه بصحيح العزمات . شكر لنا مانظمناه من
الشتات . وأوردناه من المعانى المطروقات والمبتكرات .
ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات

والنظر فيما رمناه ينحصر فى مقدمة ومطالب .
اما المقدمة ففى حكمة الأحكام والتعبدات . وفى أنواع
القربات وما لها من الثمرات . وفى أفضلية الصلوات .
وما معنى التقربات . وأما المطالب فأربعة : الأول فى
الافتتاح بالتوجه والأدعية والأثنية المتنوعات . الثانى فى
تنوع الحركات والسكنات . واختصاص كل نوع بذكر
من الأذكار المشروعات . الثالث فى الاعتبار لما اشتملت
عليه الفاتحة عند قراءتها من الكلمات . وما تضمنت من

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الحكم الحاكمة بتحصيل الزيادات . الرابع فيما وقع فى الصلاة من الأسماء والصفات

وهذه جملة ينتفع بها أرباب التوجهات . ويتوجه اليها باليقظة عند سماعها من كان شربه من مناهل الغفلات ومن الله نسأل الثبات عند المهات . والحراسة من الآفات عند المقيل والبيات . ومنه نستمد حسن التوفيق للتحقيق فيما نأتيه من وظائف العادات والعبادات بمحمد وآله :

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

القول فى المقدمة

وفيها خمسة أطراف

الطرف الأول فى حكمة الأحكام والتعبدات : وهذه قاعدة غور فهمها بعيد . إلا لمن ألقى السمع وهو شهيد . اما ان الأحكام لا تخلو عن حكمة فانه معلوم . لكن الحكمة قد تظهر وقد تخفى للناظر فيها . فمن ثاقب ذهنه فى العثور عليها . ومن قاصر لا يتأتى لذهنه أن يميل اليها . وقد اختلف العلماء والأئمة فى ذلك . فطائفة قالت الايمان محض تقليد لانه إيمان بالغيب والغيب لاسبيل إلى العلم به فكذلك جميع الشريعة تقليد يجب الايمان بما جاءت به ولا يبحث عن فهم أصله وعلته وثمرته وحكمته . إذ أثبت الصدق للشارع فوجب تلقى ما أتى به بالقبول والاعتماد عليه فيما رآه مصلحة دون البحث عن مقاصده فانه قد لا يصادف الباحث العلة التى كانت ظهرت له . وعنها نشأ الحكم . وهذه عمدة من أنكر القياس فيكون

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

قد اعتدى وتعرض لما هو مستغن عنه مما لم تدعه اليه ضرورة . وهذه طريقة سلكها جماعة ممن اتبع الأثر واداه تقرير هذا الأصل إلى حمل كلام الشارع على ظواهره فأنكر التأويل . ونشأ من ذلك مفاسد عظيمة . وموارد أثيمة . واستدلت هذه الطائفة على ذلك بقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سأل عن الأب فى قوله تعالى (وفاكهة وأبا[1]) ثم قال مالك يا ابن الخطاب . ولهذا نهينا عن التكلف فى الدين فكانت الأحكام محض تعبد لا تعلل بالعقول . وأبت طائفة ثانية ذلك وقالت : الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن كانت مبلغة الشرائع ومعرفة عباد الله بأمره ونهيه إلا أن الأعمال تنشأ عن المقاصد والنيات . ومهما كانت المقاصد مفهومة الحكم . تبادر إلى عملها ما نهض من الهمم . وازدادت بصيرة وإيمانا . وحكمة وفرقانا . وليس نفس الاعتقاد فى الصدق كافيا فى المراد . من تمام الانقياد . بل فهم الأسرار مما يوجب زيادة الأنوار .

---

(١) قال ابن الأثير الأب المرعى المتهىء للرعى والقطع . وقيل الأب من المرعى للدواب كالفاكهة للانسان

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ويشرح الصدور فى الايراد للأعمال والاصدار . فحينئذ قالوا : لكل عمل من أعمال الشرع فى العبادات . أو العادات . أو الاخلاق المحمودات والمذمومات . حكم فى الأصل يخصه . وحكم تخصصه . وسر يقتضيه . فمن منور باطنه يفتح له باب الفهم فيه والتعبير عن معلومه . ومن منور باطنه قاصر عن التعبير عنه . ومن مظلم لم تشرق فيه أنوار الهداية . واقف مع الصور . دون المعانى الكاشفة عن أسرار احكام البشر . وهم الأكثر فى اعتبار النظر . فلا جرم من تعاطى ذلك إيرادا وإصدارا . كان كمثل الحمار يحمل أسفارا وعلى طريقة الطائفة الثانية درج فحول العلماء . ونهج فيها سراة الفضلاء الفهماء . وهو العمدة لمن بحث عن أسرار الصوم والصلاة . والحج والزكاة . وأطال البحث فى ذلك . واستخرج منها ما كان كامنا هنالك . وبه نقول . فانه مظهر لمحاسن الشريعة . مفيد لتعظيمها وتقديمها . مبيد لما يعترض به عليها من طمس الله نور بصره وبصيرته . ممن انكر شرفها . وأظهر ذمها . وقد سبق إلى تحرير هذه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

القاعدة فى استقراء الحكم لما جاء من الأحكام . جماعة من علماء الاسلام . وبينوا ما هى عليه من التمام والانتظام . كالامام أبى بكر القفال الشاشى من الفقهاء . والحكيم الترمذى من الصوفية العلماء : وهذا هو الصواب الذى تنهض حجته . ولا تنتقض علته . ولا يلزم من ذلك أن يقال إن عصر الصحابة والتابعين رضى الله عنهم لم يخوضوا فى ذلك فيكون بدعة واعتداءاً . ولعل ما نعتقد أنه يصلح أن يكون حكمة لا يكون مقصوداً للشارع ولعل له قصداً آخر لم يوجد العثور عليه من الناظر فى ذلك فيكون متعديا لأنا نقول إن السلف الأول لم يدونوا ما قام بهم من العلوم والمعارف . حتى إن النحو والفقه لم يدونا على الأبواب إلا بعدهم . وإنما كانوا يتلقون العلم تلقينا بعضهم من بعض بالمذاكرات والمناظرات . وأما المخالفة لمقصود الشارع فليس فيه ذلك إذ المتكلم فى هذا المقام وظيفته إبداء علة مناسبة للحكم . لا أنه يحكم بان ذلك مقصود الشارع . وقد تكون علة أخرى له لم يقع العثور عليها علمها

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الشارع وجهلها هو فلا يكون له مخالفا بل موافقا فى تاكيد إلزام الحجة بقوله للعقول . وبهذا تم الطرف الأول

الطرف الثانى

فى أنواع القربات . وما يترتب بسببها من الطلبات

اعلموا — وفقنا الله وإياكم — أنه لما أبدع الله من آدم عليه السلام فطرته . واستخرج من ظهره ذريته . وأودع من ارتضاه منهم حكمته . ليميز الخبيث من الطيب ويذيق كلا منهما نعمته ونقمته . أعد لمن أوجده دارين دار ابتلاء وامتحان . واعتلاء وامتنان . أمد الأولى بالأنكاد والأحزان . وحشاها من التوفيق والخذلان . وأعد للأخرى ملأها من الرحمة والرضوان . لأهل الهدى والايمان . وملأها من السخط والهوان . لأهل الكفر والعصيان . وجعل أمل العامل فى الأولى ممتدا لما فى الأخرى من راحة الأبدان . ومجالسة الرحمن فى رياض الروح والريحان وأمنه من الجوارح بسبع من الاعوان . ليكتسب بها

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مايترجح عمله عند نصب الميزان . وأمر عليها أميرا هو القلب وجعله عظيم الشان . إن استقام استقامت وإن اعوج اعوجت على ممر الأزمان . وأودعه كنوز الآمال وبيوت الأموال . من العقل والفهم . والذكاء والعلم . والحكمة والفطنة . والرغبة والرهبة . والخشوع والخشية . فهو ينفق منها بقدر الامكان . ويستخدمها فيما يتأتى له من الأشواب بما أقيم له عليها من السلطان . وجعل له فى مملكته عدوا متاخماً له وهو الشهوة القائمة بنوع الحيوان وجعل معدنها النفس التى هى أعدى عدو للانسان . والهوى متحكم عليها فى الاساءة والاحسان . يدعوها إلى إجابته وطاعته فى السر والاعلان . وأقام الجوارح بمثابة من له نوع من الحيوان . مختلفة الأمزجة . متفاوتة الطبائع . متباينة الأشكال . كالابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والدجاج . وجعل العبد موكلا برعايتها . ورعيتها فى الأودية المعشبة الخصبة المنمية لها . ولكل نوع منها واد لايصلح لغيرها . ولا ترعى هى إلا فيه لملاءمةماينبت

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فيه من الأشجار لها . ومباينة نبات غيره من الأودية
لامزجتها . فهو يرسل أمواله فى تلك الأودية راعية . ويقوم
هو مشرفا على قلعة أورابية . ليطلع على أحوالها . ويكشف
ما استتر عنه وعنها من أعدائها . ويحرسها من عدوها
الذى يتخلل غفلتها . فان تعرض لها سبع حماها منه . ونفاها
عنه . وإن عرض لحيوان منها كسر أو آفة من مرض أو
وقع فى بئر أو مهواة أخرجه وجبر كسره . وداوى مرضه
وجرحه . وإن رعت حشائش ذوات سمائم بادر اليها عند
ظهور العلامات فسقاها من الأدوية مايقاوم ضررها
ويدفعه . فكان الآدمى من مراقبة قلبه لجوارحه على هذه
المثابة . فالقلب راع لجوارحه وهو مسئول عنها . ومأمور
بكفالتها . فقيل له أنفق عليها من خزائن أموالك المعدة
عندك . وحارب عدوك وخلص أتباعك وجندك . من
تعرضها للقتل والأسر . واطلب لهم الأمن والعافية . فلما
تسلط عليهم العدو باستيلاء الغفلات . واستقرار الخواطر
بالوثوب على الشهوات . والركوب للسيئات . طالب القلب

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الجوارح بطاعتـه فى ترك الشبهات . والنفس فى ترك
الشهوات . فأبيا إلا تمـاديا على الضلالة . وتماديا إلى فعل
الجهالة . فدعاهما الى عمل الصـلاة ليجمع فى ذلك بين
أدبين لهما . وهما عبادة قالبه وهى جوارحه ليشغل جنده
وأعوانه عن الفراغ لاجابة عدوه . وعبادة قلبه الذى هو
ركنه وسلطانه . فيتجدد من اسلامه وإيمـانه ماقد خلق
لباسه . و يبتعد من شيطانه مادنا منه مذغفل عنه أحراسه
ويقوم به من الوفا بعـد الجفا ماتصفو به من الأكدار
أنفاسه . فانه عند طلبـه . لقربه من ربه . يكثر التردد فى
قلبه . فاذا أشرق فيه نور الهداية سكن تردده فاطمأن . وأمن
بعد الخوف فأسلم . أى انقاد لمعبوده بجوارحه . وآمن أى
صدق بقلبه فسكن بعد اضطرابه . فلزمه اسم الايمـان
والاسلام بفعل الصلاة والعبد أبدا دائر بين أمرين . إما حكم
من الله عليه فى الأحوال فحقه الرضا عنه فيه . وإما فعل
يقوم به العبد فحقه التسليم والامتثال فى الأمر والنهى فيه
فمهما حصل الخلل فى واحد منهما أو فيهما جدده بصلاته

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فلذلك أجريت صورة الصلاة على صورة أفعاله العادية. من القيام والقعود. والركوع والسجود. خشوعا وخضوعا ودعاء وثناء. وافتتاحا بالتحميد. واختتاما بالتسليم. وجعلت ثمرتها إقبال الله على عبده. ومثوبتها فوزه بالقرب والرفعة من عنده. ومحلها رفع الحجب المعترضة للعبد بين يديه. المانعة من الوصول لمولاه والدخول عليه. فاذا تقرر ذلك فنقول:

ليعلم أن التنويع فى العبادات. من الحكم المعتبرات. فان النفس مجبولة على السآمة والملل. محمولة على التنقل فى طلب البدل. مطروقة ساحتها بضروب من العلل. فاذا تنوعت أعمالها. وتبدلت أحوالها. نهضت عزمتها. وانتقضت فترتها. فقامت نشيطة إلى عملها. وإتقان الأعمال المشروعة مطلوب. وكمالها لله فى خلقه محبوب. ولما تنوعت العبادات بحسب المصالح الالهية على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام لحكمة الانقياد والتذلل. كان منها ماهو بوجه مخصوص بشروط مخصوصة فى أزمنة مخصوصة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

كالصلوات الخمس المفروضة . وثمرتها الاقبال من الله على المتوجه له بفعلها

فان قيل : ما الحكمة فى فرض الصلوات . وتخصيصها بالخمس ؟ قلنا الحكمة وجهان

أحدهما أن الأنفس البشرية المقتضية للشهوة والغفلة والسهو والنسيان والشر فى العمل والفترة عنه فاقتضت الحكمة أن تذكر نسيانها . وتوقظ غفلتها . وتقمع شهوتها بقطعها عن عادتها . ومناجاتها لمولاها الذى كفلها بنعمه . وغذاها بجوده وكرمه . ولعلمه بضعف قواها لم يجعل هذه العبادة إلا فى أوقات يكثر الفراغ فيها من اشتغال العادات وهذا هو الحكمة فى تنقيصها من الخمسين إلى الخمس رأفة بهم . ورحمة لهم

والوجه الثانى . أن العبد فى هذه الدار يعمل لنجاته فى الدار الأخرى . وهى مشتملة على أهوال ومشاق ومتاعب وأمام العبد دونها خمس عقبات . الأولى الدنيا وشرورها وآفاتها ومحذوراتها وشواغلها وعلائقها القاطعة عن

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مزيد السعادة . الثانية الموت وما يخشى من فتنته وشدة
سكراته . وما يشاهد عنده من الأمور العظام . والآلام
الجسام . الثالثة القبر وضيقته ووحشته . وسؤال منكر
ونكير . وذلك صعب خطير . الرابعة المحشر وهوله .
وما فيه من الخوف الشديد . والجزع الأكيد . الخامسة
الحساب . وما يخشى فيه بعد العتاب من وقوع العقاب .
فكان فعل الصلوات الخمس مسهلا لهذه العقبات . محصلا
لنيل المسرات فى دار الكرامات . وكان من العبادات
ما يكون بوجه مخصوص . على وجه مخصوص . على هيئة
مخصوصة . مخالفة للعادة كالحج . وثمرته وجود المغفرة بفعله
وكان منها ما يكون بوجه مقيد بزمان دون مكان كالصوم
الواجب فى شهر رمضان . وثمرته تطهير النفس لما فيه
من كسر شهوات الأنفس . وقطع دواعى لذاتها . وتصفيتها
من كدوراتها . وإقبالها على مناجاتها . فان النفس متى جاءت
أضاءت فيها الأنوار . ونزلت اليها الأسرار . وقد ورد فيما
روى من الحديث « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ اُبْنِ آدَمَ مَجْرَى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ (١) » وكان منها ماهو بوجه مفارقة محبوب الأنفس ومألوفها . كالزكاة فانها تنقيص الأموال بالعشر . ونصف العشر . وربع العشر . وذلك

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم من حديث صفية دون قوله « فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » وقوله صلوات الله عليه وسلامه « ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم » قال الطيبى طيب الله ثراه يعنى ان كيد الشيطان ووساوسه يجرى فى الانسان حيث يجرى فيه الدم أو يجرى فى الانسان جريانا مثل جريان الدم فيه يعنى كما يجرى الدم فى أعضاء الانسان وليس له احساس بجريانه فكذلك تجرى وساوس الشيطان فيها وليس للانسان احساس به قال وانما أعطاه الله تعالى ذلك لشيئين أحدهما لجزائه على الطاعات التى كان عملها فاعطاه جزاء عمله فى الدنيا وثانيهما اظهار رحمته وقدرته ومغفرته وغضبه . وقد بسط القسطلانى القول هنا فى كتابه « مدارك المرام . فى مسالك الصيام » وقد افتتحه بالمفاضلة بين الصوم والصلاة وبين الصوم فى الشريعة الاسلامية والشرائع السالفة ثم ثنى بالصوم الواجب والمندوب والمكروه ثم قفى على ذلك بذكر فضائل الصوم وثمراته وآدابه ومستحباته وواجباته ومحرماته ومكروهاته وليلة القدر والاعتكاف ثم ختمه بفضائل شهر رمضان وخصوصياته فانظره فانه نفيس

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

متقيد بزمن معلوم . وعدد معلوم . ووزن مفهوم . ونوع من المال مخصوص . لما فيه من قمع دواعى الحرص بالجمع والمنع . وثمرته تطهير المال . وتنميته بالتضعيف فى المآل . ومنها مالم يتقيد بزمن معين كالجهاد . لما فيه من إظهار شعار الدين . وإيثار إقامة شرف الموحدين . وثمرته حصول الجنة . وهذه كلها توجهات من الله تعالى فى خلقه مطلوبة . ولأحرى المراد فيهم منسوبة

فاذا علم التوجهات الشرعية . وما يترتب عليها من المقاصد . صرفنا العناية منا إلى النظر منها فى مقاصد الصلاة فانها فى التقرب إلى الله تعالى أشرف القربات . لشبهها بفعل الملائكة المنتدبين لامتثال المأمورات . ولاختصاصها بالاقبال من الله الذى تقصر عنه جميع الطاعات . وليكون العامل لها على بصيرة جالبة للمسرات . دافعة للمضرات .

وبعد تمام هذا الكلام قد وقفت على خبر قد روى لايثبت مثله :

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه مسنداً ما معناه إن اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن فرض الخمس فى مواقيتهن فأجابهم بان قال: أما الظهر فان فى السماء حلقة تزول فيها الشمس فتسبح الملائكة ولا تغلق حتى تصلى ويستجاب الدعاء فأمرنا بالصلاة حينئذ. وأما العصر فلأن الشيطان وسوس لآدم عليه السلام فى تلك الساعة حتى أكل من الشجرة فأرغم الله أنفه بالصلاة فيها. وأما المغرب فلأن الله تعالى تاب على آدم عليه السلام عند الغروب فأمر بالصلاة توبة له ولمن أذنب. وأما العشاء فلأنها صلاة المرسلين قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام. وأما الصبح فلأن الشمس تطلع بين قرنى شيطان وتسجد لها الكفار فأمر أمته بالصلاة والسجود لله قبل أن يسجد الكفار لغير الله تعالى

وأوقفك على خبر آخر قد روى وفيه أن توبة آدم صلوات الله عليه وسلامه كانت عند طلوع الفجر فصلى ركعتين شكرا لله تعالى. وكانت توبة داود عليه السلام

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

حين زالت الشمس أتاه جبريل عليه السلام فبشره بها فصلى أربع ركعات . وكانت توبة ابنه عليه السلام عند العصر فبشره بها جبريل عليه السلام فصلى أربع ركعات وكانت بشارة يعقوب بيوسف عليهما السلام على لسان جبريل عليه السلام عند افطار الصائم بانه حى يرزق فصلى ثلاث ركعات . وكان خروج يونس عليه السلام من بطن الحوت كالفرخ حين اشتبكت النجوم وغاب الشفق فصلى أربع ركعات

فجعل الله هذه الصلوات . فى هذه الأوقات . تمحيصا للسيئات . وكفارات للخطيئات . ورفعة للدرجات . وجمع لهذه الأمة ماتفرق للانبياء عليهم الصلاة والسلام قبلهم من الكرامات . فناهيك من شرف تخصصت به الأمة المحمدية فى الأرضين والسموات : وبه تم الطرف الثانى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الطرف الثالث

في ثمرات القربات وما لها من النتائج الموصلة الى تحصيل الرغبات

القربات وان تعدد نوعها. واتحد حسنها. فان حاصلها يؤول الى استعطاف الملك الجليل. وإقباله عز وجل على عبده بانالة العطاء الجزيل. وإزالة التعرض له باعتراض المخالفة إلى الالقاء فى العذاب الوبيل. ولكل عبادة ثمرة منها تجنى. ونتيجة عليها تنشأ ومنها تبنى. فمن تدبر معانى القربات. ظفر فى عمله بارفع الدرجات.

ولما كان القصد منا إلى مقاصد الصلاة ذكرنا ما يتعلق بها من الثمرات: فلها ثمرات عاجلة فى الدنيا. وآجلة فى الأخرى. فذلك نوعان

النوع الأول: الثمرات العاجلة. وهى سبعة عشر

الاولى: حقن الدم عن سفكه بفعلها. واختلاف العلماء فى قتل تاركها فمذهب الشافعى ومالك قتله حدا. ومذهب احمد قتله كفرا. ومذهب أبى حنيفة إيلامه بالضرب

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الموجع والحبس الطويل حتى يصلى (١) . الثانى شرفه بطاعة

---

(١) هذا — أعزك الله — صفوة القول فى هذه المسألة وقد بسط النووى القول فيها بسطا شافيا فقال وأما تارك الصلاة فان كان منكرا لوجوبها فهو كافر باجماع المسلمين خارج من ملة الاسلام الا أن يكون قريب عهد بالاسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه وان كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعى رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف الى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فان تاب والا قتلناه حدا كالزانى المحصن ولكنه يقتل بالسيف وذهب جماعة من السلف الى أنه يكفر وهو مروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو احدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبدالله بن المبارك واسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى رضوان الله عليه وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزنى صاحب الشافعى رحمهما الله أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلى . واحتج من قال بكفره بظاهر الحديث الثانى المذكور وبالقياس على كلمة التوحيد واحتج من قال لا يقتل بحديث « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث » وليس فيه الصلاة واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وبقوله صلى الله عليه وسلم « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » « من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة » « ولا يلقى الله تعالى عبد بهما

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مولاه. وامتثال أمره باجابة ندائه بقرع بابه لما دعاه. الثالثة أمنه من الله وإدخاله فى خفارته وقد ورد من حديث الحسن عن جندب بن سفيان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فى ذِمَّةِ اللهِ فَلَا تَخْفِرُوا اللهَ فِى ذِمَّتِه» أخرجه الترمذى. الرابعة: اتخاد العهد عند الله كما ورد فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ

غيرشاك فيحجب عن الجنة» «حرم الله على النار من قال لااله الا الله» وغير ذلك. واحتجوا على قتله بقوله تعالى «فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم» وقوله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فان فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم» وتأولوا قوله صلى الله عليه وسلم «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة» على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهى القتل أو أنه محمول على المستحل أو على أنه قد يؤول به الى الكفر أو أن فعله فعل الكفار والله أعلم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

يُضَيِّعْ شَيْئًا مِنْهُنَّ اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ» أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه. الخامسة: بسط الرزق وسعته كما قال تعالى «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ[1]» السادسة: انتهاؤه بفعلها عن

---

(١) أى لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك وكيف نأمرك بذلك ونكلفك أن ترزق نفسك وأنت لاتستطيع ذلك وكيف يحمد بنا أن نأمرك بالخدمة ولا نقوم لك بالقسمة فكأنه سبحانه لما علم أن العباد ربما يشوش عليهم طلب الرزق فى دوام الطاعة وحجبهم ذلك عن التفرغ للموافقة فخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ليسمعوا فقال «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك» أى قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا. وهما شيئان شىء ضمنه الله لك فلا تتهمه وشىء طلب منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل ما يتنبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما ضمن له. اذا كان الله سبحانه قد رزق أهل الجحود فكيف لا يرزق أهل الشهود واذا كان قد أجرى رزقه على

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الفحشاء والمنكر كما قال تعالى « إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ » ومعنى الآية من حيث الظاهر أن الصلاة الكاملة هى التى بهذه الصفة كقوله عليه الصلاة والسلام « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » أى كامل الايمان . ويحتمل أن يريد نفس فعل الصلاة عند قيام الداعى الى فعلها ينهى عن ذلك لأنه مثار الداعى من الخوف والخشية ومهما وجدا نهيا عن المخالفة . السابعة التطهير من الخطايا بفعلهن لحديث أبى هريرة رضى الله عنه وسيأتى . الثامنة : المشاركة لأهل الجنة فى خصال خصهم الله بها فى الجنة وهى سبعة : الاولى أهل الجنان فى ضيافة الرحمن والمصلى كذلك لحديث ورد عنه عليه الصلاة والسلام قال « مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا لِلَّهِ فَهُوَ ضَيْفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » وكان على بن الحسين رضى الله عنهما يقول

أهل الكفران كيف لا يجرى رزقه على أهل الايمان . أشار اليه فى التنوير فى اسقاط التدبير وتمامه هناك فانظره

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

اذا دخل المسجد : إلهى عبدك ببابك . ضيفك ببابك . سائلك ببابك . وثانيها أن لأهل الجنة الرضوان من الملك الديان لقوله تعالى « وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللهِ أَكْبَرُ » وقال عليه السلام « أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ ٱللهِ » وثالثها أن لأهل الجنة المغفرة وكذلك المصلى نقل عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ » قال هو الصف الأول . ورابعها أن لأهل الجنة مناجاة الله والمصلى يناجى ربه كما ورد فى الحديث « فَلْيَعْلَمْ مَنْ يُنَاجِى » وخامسها أن أهل الجنة يسلم الله عليهم بقوله « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » وكما قال تعالى « تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ » والمصلى يسلم عليه بقوله : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ويختم الصلاة بالتسليم ويقول قبل أن يتكلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام . وسادسها القرب من الله فى الجنة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والمصلى كذلك لقوله تعالى « وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » ولقوله عليه السلام « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ[1] »

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه وتمامه « فأكثروا الدعاء» قال النووى معناه أقرب مايكون من رحمة ربه وفضله . وفيه الحث على الدعاء فى السجود . وفيه دليل لمن يقول ان السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة . وفى هذه المسألة ثلاثة مذاهب أحدها أن تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل حكاه الترمذى والبغوى عن جماعة وممن قال بتفضيل تطويل السجود ابن عمر رضى الله عنهما . والمذهب الثانى مذهب الشافعى رضى الله عنه وجماعة أن تطويل القيام أفضل لحديث جابر فى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أفضل الصلاة طول القنوت» والمراد بالقنوت القيام . ولأن ذكر القيام القراءة وذكر السجود التسبيح والقراءة أفضل لأن المنقول عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود . والمذهب الثالث أنهما سواء وتوقف أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى المسألة ولم يقض فيها بشىء . وقال اسحاق بن راهويه أما فى النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل وأما فى الليل فتطويل القيام الا أن يكون للرجل جزء بالليل يأتى عليه فتكثير الركوع والسجود أفضل لأنه يقرأ جزأه ويربح كثرة الركوع والسجود . وقال الترمذى انما قال اسحاق هذا لأنهم وصفوا صلاة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والقرب من الله هو قرب الانبساط ليس بقرب البساط

قال الله تعالى «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» وسابعها

أن مفتتح أهل الجنة الحمد وختامهم كذلك كما أخبر الله

عنهم بقوله «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰه» ثم قال «وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ

وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰه رَبِّ الْعَالَمِينَ» ثم قال «وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ

الْحَمْدُ لِلّٰه رَبِّ الْعَالَمِينَ» والمصلى يفتتح كل ركعة بالحمد:

وهذه الجملة من نعم الله التى تفضل بها فى هذه الدار على

من أقام الصلوات بحدودها. وأدام الرغبات بين يديه

وراعى جميل مقصودها. فهذه جملة شارك المصلى فيها أهل

الجنة. التاسعة التنعم بمحادثة الله ومكالمته. فهو يتنعم بالتلاوة

فى الصلاة كما يتنعم أهل الجنة بكلام الله. فقد ورد فى

الحديث «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِفَاحًا

النبى صلى الله عليه وسلم بالليل بطول القيام ولم يوصف من تطويله

بالنهار ما وصف بالليل والله أعلم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ(١)» العاشرة شغل النفس عن تفرغها فى استيلاء الفكر عليهـا بغلبة سلطان الهوى على العقل وضربها بسوط الخوف من القيام بين يدى الله تعالى على مثل تلك الحالة من الذلة والخضوع والآهية والمسكنة بتعفير الوجه حتى تجيب الى ماأراده منها من ملازمة الادب فى الخدمة . وتنشيط مافتر منها من العزمة . فتتمرن على ذلك ولا تتكلف فعـله عند المطالبة لهـا بالاقدام عليه . وبه تمت ثمرات الصلاة العاجلة

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم ولفظه « عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه و بينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ماقدم و ينظر أشأم منه فلا يرى الا ماقدم و ينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » الترجمان بفتح التاء وضمها هو المعبر عن لسان بلسان وشق التمرة بكسر الشين نصفها وجانبها وفى الحديث أن الله يكلم عباده المؤمنين فى الدار الآخرة بغير واسطة وفيه الحث على الصدقة وأنه لايمتنع منها لقلتها وأن قليلها سبب للنجاة من النار وأن النار قريبة من أهل الموقف . نسأله سبحانه السلامة منها بمنه وكرمه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

النوع الثانى : الثمرات الآجلة . وهى عشرة . الاولى الخلاص من العقبات الخمس المذكورات فى الطرف الاول . الثانية أن النار لاتأكل موضع السجود كرامة له الثالثة التمكن من السجود يوم العرض فى قوله تعالى كما أخبر عن الكفار « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ » والمعنى أنه سال منهم السجود وهو بالصلاة فتكبروا وأبوا عن الاجابة للداعى فى الدنيا فسال منهم السجود فى الآخرة فاجابوا فمنعوا من فعله عقوبة لهم فى الآخرة على التكبر فى الدنيا بعدم الاجابة كما قال تعالى « وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ » يعنى فيأبون مع السلامة والتمكن من الفعل فعند معاينة العطب والاهوال أجابوا فما مكنوا ومن حديث عطاء بن يسار عن أبى سعيد رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مُؤْمِن ومؤْمِنَة وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِى الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً
فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فيعودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا » أخرجه البخارى
فى التفسير وهو مختصر من حديث الرؤية . الرابعة مضاعفة
الخمس بالخمسين وفاء بوعد الله للعباد حين فرض عليهم
الصلوات فقال لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام بعد
مراجعته له ليلة الاسراء : قد أمضيت فريضتى وخففت
عن عبادى هى خمس وهن خمسون . الخامسة الشفاعة
فى النجاة من عذاب القبر وعذاب النار ابتداء . والخروج
من النار انتهاء . روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه
قال : إذا حضرت الصلاة قالت الملائكة يابنى آدم قوموا
فأطفئوا نيرانكم التى أوقدتم . وقد ورد أن الصلاة تنفع
وتدفع عنه العذاب . وأنها تحول بينه وبين لهب النار .
وكذلك أعمال البر كلها . السادسة رفعة الدرجات فى الجنة
السابعة وراثة الفردوس من الجنة كما أخبر الله تعالى عنهم
فى قوله « أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ » الثامنة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الأمن من الفزع الأكبر . التاسعة نور الوجه علامة لهم فى الجنة على شرفهم ورفعة درجتهم . العاشرة اختصاصهم بباب من أبواب الجنة يدخلون منه قد أعده الله للمصلين

فهذه ثمرات مطلوبة ولو تتبعنا جميع الثمرات لأطلنا فلنقتصر على ماذكرنا . ولنتبع ذلك بحديث رويناه وقع لنا جامع لخصال جعلت عقوبة لتاركها تحذيرا من تهاونه بفعلها ليجمع بين الترغيب والترهيب حتى يقبل العبد على الله عزوجل فى صلاته بقلب منيب

روينا من حديث عامر الشعبى قال : أخبرنى أبوجحيفة واسمه وهب بن عبد الله عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من تهاون بصلاته فان الله يعاقبه بخمس عشرة خصلة ست منها فى الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث فى القبر وثلاث وقت خروجه من القبر . فأما الست التى فى الدنيا فيرفع عنه اسم الصالحين والثانية يرفع عنه بركة الحياة والثالثة يرفع عنه بركة الرزق والرابعة لا يقبل

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

منه شيء من أعمال الخير والخامسة لا يستجاب دعاؤه والسادسة لا يجعل له فى دعاء الصالحين نصيب . والثلاث التى عند الموت فانه يموت عطشا فلو صب فى حلقه ماء سبعة ابحر ما روى والثانية يموت بغتة والثالثة كأنه ثقل بحديد الدنيا . والثلاث التى فى القبر فأولها يظلم عليه القبر والثانية يضيق عليه القبر والثالثة تسيل عينيه باكواء . والثلاث التى عند خروجه من القبر يلقى الله وهو عليه غضبان والثانية تكون محاسبته شديدة عظيمة والثالثة رجوعه من بين يدى ربه إلى النار إلا أن يعفو عنه قلت فاذا كان المتهاون بها جزاؤه هذه الخصال فالمحافظ عليها تنعكس هذه الخصال الذميمة فى حقه جيدة فيكتب اسمه فى الصالحين ويرزق البركة فى الحياة والرزق الى ما عددناه من تلك الخصال الباقية

ومن شرف الصلاة أن العبد يحبس عند الوصول إلى الجنة فان كانت تامة أطلق . روى مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن على جسر جهنم سبع محابس يسأل

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فان جاء بها تامة جاز إلى الثانى فيسال عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسال عن الزكاة فاذا جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسال عن الصوم فان جاء به تاما جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فان جاء به تاما جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسال عن المظالم فان خرج منها وإلا يقال انظروا فان كان له تطوع أكمل به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة

ومن شرفها أنها شفاء روينا من حديث مجاهد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث فيه «فَصَلِّ فَانَّ فِى الصَّلَاة شِفَاءً» أخرجه ابن ماجه

وبه تم الطرف الثالث

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الطرف الرابع

فى أفضلية الصلوات وتقدمها على ماسواها من القربات

قد قامت أدلة الكتاب والسنة على أفضلية الصلوات وان الله سبحانه وتعالى دعا العباد الى فعلها فى جميع الاوقات الا ماخص بالنهى عنه من الساعات فقال تعالى «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى» وقال تعالى «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» وقال تعالى «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» ولشرفها عند الله سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يجعله مصليا فقال «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» وفى الصحيح المتفق عليه من رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَاتَقُولُونَ ذَلِكَ يُبْقِي

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مِنْ دَرَنه قَالُوا لَا يُبْقَى من دَرَنه شَيْئاً قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» وورد من حديث ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْمَلُوا وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ» وهذا الحديث من رواية ثوبان فيه مقال فى الانقطاع والاتصال . ومعنى « لن تحصوا » أى لن تطيقوا الاستقامة فى أعمالكم دواما فان ذلك مشقة على النفوس . فدل الكتاب والسنة على فضيلة الصلاة مطلقا . ودل حديث ثوبان على أن الصلاة أفضل الأعمال والمراد بذلك أفضل الأعمال البدنية لأنها مقصورة على ذات المكلف لا تتعدى عنه إلى سواه فيما يترتب على فعلها من الثواب

فان قلت لم سميت الصلاة صلاة ؟ قلت أما من حيث الاشتقاق لفظا فان فى ذلك وجوها : أحدها من التصلية . وهى التقويم من قولهم صليت العود بالنار أى قومته فكأنها

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

تقوم العبد عما كان فيه من الاعوجاج بالمخالفة. وثانيها من الصلة للعبد بربه عند طاعته له بفعلها إذ بفعلها يصل وبتركها ينقطع. روى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ [1]» وثالثها أن العبد يصل بتركها الى النار ورابعها لأنه يصل بفعلها الى الجنة. روى عن على رضى الله عنه أنه قال هل تدرون لم سميت الصلاة صلاة ؟ قالوا

---

(١) أخرجه ابن ماجه وهذا لفظه وأخرجه مسلم ولفظه «عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» قال النووى هكذا هو فى جميع الأصول من صحيح مسلم الشرك والكفر بالواو وفى مخرج أبى عوانة الاسفراينى وأبى نعيم الأصبهانى أو الكفر بأو ولكل واحد منهما وجه ومعنى «بينه وبين الشرك ترك الصلاة» أن الذى يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة فاذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه ثم ان الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لا يا أمير المؤمنين . قال لان العبد يصل بها الى الجنة . وخامسها
لان العبد اذا قام فيها وصل وجهه بوجه الله أى استقبله
روى فى الحديث الصحيح « لَا يَتْفُلْ أَحَدُكُمْ قِبَلَ وَجْهِهِ
فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ » ويروى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن
رضى الله عنه أنه قال الصلاة سميت صلاة لاستقبال العبد
بوجهه وجه الله تعالى . وسادسها سميت صلاة لمواصلة الله العبد
بتعهده بنعمه عند فعلها كما قال تعالى « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ » ولما كانت الصلاة
تجمع متفرقا من القربات من الطهارة واستقبال القبلة
والدعاء والثناء والقراءة والتسبيح . كانت أكثر ثوابا وأعظم
أجرا . وأكبر عند الله فى العمل قدرا . لانه اجتمع فيها مالا
يجتمع فى غيرها ولاسيما ان قارن ذلك الخشوع والخضوع
والحضور فى فعلها فانها تزكو بذلك ثمرتها وتظهر بركتها
اعتبار فيه أسرار . لها أنوار . واختيار فيه لنعم الله آثار

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

اعلموا أن الصلاة جسد والاخلاص روحه والحضور مع الله قلبه وسره . فمن لا اخلاص له فلا عمل له . ومن لا حضور له فلا كمال فى الثواب يحصل له . كما ذم الله فاعل ذلك «وَلَا يأتُونَ الصَّلَاةَ الَّا وَهُمْ كُسَالَى» وكما ورد فى الحديث «يُكْتَبُ لِلْمَرْءِ من صَلَاته مَاعَقَلَ مِنْهَا» وكما ورد أيضا «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِين يَقْعُدُ أَحَدُكُمْ حَتَّى اذَا غَابَتِ الشَّمْسُ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا الَّا قَلِيلًا» فمن لم يكن مخلصا فى صلاته حاضرا بقلبه مع مولاه فى أفكاره فى حركاته وسكناته فى صلاته فقد عرض نفسه لفوات مقصود الصلاة ولا اشكال أن أحوال العبد منظورة . فمنها ماهو عادة كالسعى فى طلب المعاش المحصل لقيام البنية المعين على القوة المعينة على العبادة . وهذا هو مثار الغفلة ومداعى الشهوة . فاغتفر ذلك لاجل الضرورة الداعية له اذ لا غنى للأجساد الحيوانية عن تناول المواد الحافظة لبقائها بأخذ الاغذية . ومنها ماهو عبادة فينبغى أن يخالف

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فيها ما كان عليه من العادة ويتوجه لله تعالى مخلصا بقلبه وقالبه فاذا كان وقته فى حياته معمورا بهاتين الخصلتين فقد تعرض للجمع بين شرف الرتبتين

ولما كانت الصلاة تشتمل على أنواع من عبادات الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام . والقيام بأمر الله تعالى كان لها شرف على غيرها فأولها التكبير وبه يقع الامتثال للأمر فى قوله تعالى « وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا » وبالاستفتاح يقع التأسى بالخليل صلوات الله عليه وسلامه فى قوله « إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ » وبالتعوذ بنوح عليه الصلاة والسلام فى قوله « أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ » وبيوسف عليه الصلاة والسلام فى قوله « مَعَاذَ اللهِ » وبموسى صلوت الله عليه وسلامه فى قوله « أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » وبمريم عليها السلام « إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ » وبأمها فى قولها « إِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا » وبالبسملة فى قول

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

نوح عند ركوب السفينة « بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا » وبسليمان صلوات الله عليه وسلامه فى كتابه إلى بلقيس « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » وبالحمد بآدم صلوات الله عليه وسلامه فى قوله لما عطس الحمد لله . وبقراءة شىء من القرآن ولو آية وافق الملائكة فى قوله تعالى « فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا » وبالقيام بزكريا فى قوله الحق « وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ » وبالركوع داود فى قوله تعالى « وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ » وبالسجود جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن اصطفاه الله وهداه وارتضاه واجتباه فى قوله تعالى « إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا » وبالتسبيح الملائكة فى قوله تعالى « سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا » والتشهد بمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وبالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الامتثال لما أمر الله به منها فى قوله

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

تعالى «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» وبالسلام
على اليمين والشمال الأمن من العقوبة بالاتباع والقضاء
لحق من عن يمينه وشماله من المصلين والملائكة المذكورين
فى قوله تعالى «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ» والصلاة قد
جمعت مبانى الاسلام فى قوله عليه السلام «بُنِيَ الْإِسْلَامُ
عَلَى خَمْسٍ» من شهادة التوحيد فى التشهد الذى هو خاتمتها
ووسطها ومن الحج الذى هو القصد والصلاة من شرطها
القبلة فهو قصد إلى البيت بالتوجه ومن الزكاة التى هى
تنقيص من الاموال بتنقيص الابدان بالافعال بالحركات
ومن الصوم بالامساك عن المفطرات فان المصلى ممنوع
عنها ومن الجهاد بالمشقة فان المصلى لنفسه مجاهد ولشيطانه
محارب ويقال انما سمى المحراب محراباً لمحاربة الشيطان
باقامة الصلاة فيه

فلما اشتملت هذه الصلاة على هذه المعانى من الاقتداء

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بالملائكة والنبيين وصالحى المؤمنين والامتثال لامر رب العالمين ومبانى الاسلام التى عليها مدار الدين كانت أجدر بالفضيلة. وأولى بتحصيل الوسيلة. وقد حرض النبى صلى الله عليه وسلم على فعلها فقال فيما رويناه من حديث على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ» وفى الحديث الصحيح «وَالصَّلَاةُ نُورٌ» أى ينور القلب بفعلها أو يؤول أمر فاعلها الى النور يوم القيامة كما قال تعالى «نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» أو ينور وجه فاعلها فى الدنيا كما ورد فى الحديث «مَنْ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ [1]» فلأجل ذلك

---

(١) قال السخاوى لا أصل له وروى من طرق بعضها عند ابن ماجه وأورد الكثير منها القضاعى وغيره ولكن قرأت بخط شيخنا أنه ضعيف والمعتمد الأول وأطنب ابن عدى فى رده وظن القضاعى أنه صحيح لكثرة طرقه وهو معذور لأنه لم يكن حافظا واتفق أئمة الحديث على أنه من قول شريك لثابت قبل سرقه جماعة من ثابت

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

قدمها الخواص على جملة الاعمال ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِى فِى الصَّلَاةِ[١]» والمعنى أنها

---

(١) أخرجه الامام أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى من حديث أنس رضى الله عنه ولفظه «حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة» وقوله صلوات الله وسلامه عليه «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» قال العارف ابن عطاء الله السكندرى ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته. وانما قلنا ان قرة عينه فى صلاته بشهوده جلال مشهوده لأنه قد أشار الى ذلك بقوله «فى الصلاة» ولم يقل بالصلاة اذ هو صلوات الله عليه وسلامه لاتقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام و يأمر به من سواه بقوله صلى الله عليه وسلم «اعبد الله كأنك تراه» ومحال أن يراه و يشهد معه سواه. فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لأنها فضل من الله و بارزة من عين منة الله فكيف لايفرح بها وكيف لاتكون قرة العين بها وقد قال سبحانه «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» فاعلم أن الآية قد أومأت الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب. اذ قال «فبذلك فليفرحوا» وما قال فبذلك فافرح يامحمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل كما قال فى الآية الأخرى «قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون»

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

سكنت عن أن تمتد الى النظر الى سواها من القرار وهو السكون عن الحركة الى زهرة الدنيا وزينتها اشتغالا بما قامت فيه من لذائذ المناجاة لله دل عليه قوله تعالى «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ» الآية . ثم قال «وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً» الآية . أو أن معناه ان السرورا نما هو فى الصلاة لان العرب اذا دعت لشخص تقول أقر الله عينك بمعنى أزال الله عنها الحرارة . واذا دعت عليه تقول أسخن الله عينه بمعنى جعلها الله حارة فكانت عينه عليه الصلاة والسلام بالصلاة قريرة لما يجد فيها من لذيذ مؤانسته فى مناجاته وشغله بما هو فيه من التوجه للقيام فى خدمة مولاه . وبه تم الطرف الرابع

---

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الطرف الخامس

فى معنى التقربات وما يحمل عليه اجمال لفظها من الجهات

ان الله غنى عن العالمين فيما يتقربون به من القربات المالية والبدنيـة . وانمـا شرعها ابتـلاء وامتحاناً لهم كما قال الله تعالى « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ » أى المجاهدين أنفسهم على إقامة ماوضعته عليهم والصابرين عن شهواتها الداعية الى المخالفات . وارتكاب المنهيات والمحظورات . فاذن موضوع قواعد العبادات وأنواع القربات مخالفة العادات . ومباعدة الغفلات . قصـدا للقرب من جناب خالق الارض والسموات . وطمعاً فى إقباله الرافع للدرجات بكثرة الحسنات : والمراد بالتقرب وجود القرب من احسانه وجوده . ونيل المطلوب من إفضاله على الصادق له فى مقصوده . وذلك من خصائص عباده الواقفين على بابه النازحين بتقواهم لله فى أسرارهم عن مداناة عناية محبتهم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

له بان يجعلهم من أحبابه فيعاملهم معاملة حقير ضعيف تقرب إلى عظيم قوى بالانقياد والذل لعزته وعظمته والاعتماد على تقديم جلاله فى قلبه وسعة نعمته ورحمته. وأما القرب من ذاته فمستحيل لان اعتبار قطع المسافات بالقرب والبعد من الغايات. من صفات الاجسام المستعدة لقبول التركيب والتحليل والآفات. والحق سبحانه وتعالى منزه عن هذه الحالات. لان من شرط ثبوت الالهية وجود الكمال. وانتفاء النقائص فى الحال والمآل. فاذن قربه من الموجودات يقع إطلاقه باعتبارين أحدهما قرب علم ومشاهدة. وعموم قهر فيها مانع لها عن معاندة. كما فى قوله الحق «فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» فالموجودات على اختلاف أجناسها وأنواعها. ومباينة طباعها ومفاوتة أوضاعها. من جماد ونبات وحيوان وإنسان كلها مؤتمرة بامره.

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مندرجة تحت قهره . قد أحاط علما منها بما الحق وسبق «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» وكلها آمة لجهة قصده «وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» وقال تعالى لمن فهم إبهامه بالامر وتصريحه «كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ» فمن ألهم فهما وعلم حكما . استقرأ اسراره فى موجوداته . واعتبر آثاره فى مصنوعاته . وقابل كلا بما يليق به . ووقف حسيرا عند سعة دوائر الموجودات . وإحاطة علمه العلى بمراكزها المستودعات المعدودات . وقد قال تعالى «مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ» الى قوله «وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا» وثانيهما قرب تشريف وتعريف . بفضل وإنعام . وعقل وإلهام . وذلك يختص به من اصطفاه من أهل الايمان . وارتضاه فرقى فى مراتب الايقان . كما قال تعالى «وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا» وكما قال تعالى «فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» وكما قال «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مِنْكُمْ» وكما قال «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» وكما ورد فى الحديث «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» فالقرب من العبد للرب لأنه المفتقر إليه وهو الغنى عنه كما ورد فى الحديث «لَايَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ[1]» على قدر تمام القرب. يكون إقبال الرب

---

(١) أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولفظه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه» وقوله تبارك وتعالى «وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه» قال ابن دقيق العيد فيه اشارة الى أنه لا تقدم نافلة على فريضة. وانما سميت النافلة نافلة اذا قضيت الفريضة والا فلا يتناولها اسم النافلة ويدل على ذلك قوله عز وجل «ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه» لأن التقرب بالنوافل يكون بتلو أداء الفرائض ومتى أدام العبد التقرب بالنوافل أفضى ذلك به الى أن يحبه الله عز وجل ثم قال «فاذا أحببته

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وتوجد طهارة القلب . ويظهر شرف العبادة . وتزكو الأعمال وإن كانت قليلة . وفضيلة الأعمال بعضها على بعض إنما هو بحسب ماتشتمل عليه من الفوائد . ويتصل بها من المشاق أو حسن المقاصد . وإذا كانت فضائلها مترتبة على قدر فوائدها فأعظمها فائدة . وأقومها عائدة . ماهو أساس كل عبادة وقاعدتها . وهو شرط فى صحتها ابتداء ودواما . وهو الايمان بالله والمعرفة به . فالكافر لا يقبل عمله لأنه مقيم على عمل لا يرضى به الله . قال تعالى « وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ » وسخط الله عليه ولعنته له دائمة قائمة . قال

كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » الخ فهذه علامة ولايته لمن يكن الله قد أحبه ومعنى ذلك أنه لا يسمع مالم يأذن الشرع بسماعه ولا يبصر مالم يأذن الشرع له فى ابصاره ولا يمد يده الى شىء مالم يأذن الشرع فى مدها اليه ولا يسعى برجله الا فيما أذن الشرع فى السعى اليه . فهذا هو الأصل الا أنه قد يغلب على عبد ذكر الله تعالى حتى يعرف بذلك فان خوطب بغيره لم يكد يسمع لمن يخاطبه حتى يتقرب اليه بذكر الله غير أهل الذكر توصلا الى أن يسمع لهم وكذلك فى المبصرات والمتناولات والمسعى اليه تلك صفة عالية نسأل الله أن يجعلنا من أهلها

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

تعالى « أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِى الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ » ومع وجود السخط فلا قرب . وقد أخبر الله تعالى بذلك أى الذين تفرقوا أن يشركوا بالله ويكفروا به وأن يراؤا فى أعمالهم ويقصدوا بها غير وجه الله الكريم[1] وقال تعالى « وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ » والكسل غالبا يصاحبه الرياء لأنه إظهار خلاف ما فى الباطن لأجل مدح الغير له فان النفس عنه نازحة غير ناشطة فى عمله . والكسلان لا عزم له على ما شرع فيه من العمل فهو يعمله خشية من اللوم فلم يقصد بعمله وجه الله وكل عمل لا يقصد به وجه الله فهو مردود وصح من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَىُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ » أخرجه مسلم وسواه . فالايمان فى العبادات هو أساسها الذى

---

(١) كذا بالأصل وهو كما ترى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

عليه مدارها . وقياسها الذى به ينتظم قرارها . فلأجل ذلك قال الله تعالى تنبيها على شرفه وذم ضده « إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى »

ولما انقسمت العبادات الى ما فائدته قاصرة على المكلف كالصوم والاعتكاف والحج والعمرة . والى ماهى متعدية كالزكوات والكفارات والصدقات كان المتعدى منها أفضل من القاصر . لما فيه من تكثير الفوائد وزيادة النفع . مهما ظهر أثر التعدى ظهر وجود الفضل فلهذا قلنا أفضل أعمال الأبدان بعد سبق الايمان الصلاة إذ فوائدها متعددة من وجوه . أحدها الدعاء بالمصالح الدينية والدنيوية وذلك يختص بالمصلى . وثانيها الاصطفاء والتشريف بالمناجاة كما أخبر صلى الله عليه وسلم أن المصلى يناجى ربه . وثالثها الثناء على الله عز وجل بما فى القوة البشرية للوفاء به من الاقبال والتوجه والذكر له والثناء

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

عليه إما باجمال أو تفصيل أو بهما وذلك يقع إما باثبات الكمال . أو نفى النقص المتوهم فى الأذهان فى جميع الأحوال وقد وجد ذلك فى الصلاة واشتملت عليه . ورابعها ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من السلام عليه فى التشهد والصلاة عليه وعلى آله وعلى أبيه إبراهيم وآله والبركة له ولهم والشهادة له بالرسالة . وخامسها ما يتعلق بجميع المؤمنين فى قوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنَّ الْعَبْدَ إذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »

فقد اشتملت من الفوائد القاصرة والمتعدية على مايشهد لها بالكمال والحال : وبه تم الطرف الخامس من المقدمة فى معنى التقربات

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

القول فى المطالب . وهى أربعة

المطلب الاول فى الافتتاح بالتوجه والادعية والاثنية المتعلقة بالصلوات . والاقتراح للاستدعاء من كرم الله تعالى أجزل الصلات . وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

فى اعتبار كلمات التوجه . وما ينبغى أن يحصل لقائلها عند قولها من الحضور والتنبه .

ان موضوع الصلاة لمن تدبر معناها اقامة وظيفة خدمة لملك جليل مطاع . منعم على من خلقه وصوره من النعم بعدة أنواع . فيجدد العهد به فى أوقات معهودة ليستديم ادرار نعمه عليه اذ الأغلب من صفات البشر الغفلة لما جبلوا عليه من الحرص والشهوة . لوجود التلون فيهم والانتقال من حال الى حال بحسب ما أقيم فيهم من الاختلاف فى تركيب الامزجة والطبائع على المصنوع

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بقهر الصنائع . فمن مقبل الى الله بقلب منيب . ومن معرض خائب بعيد من جنابه غير قريب . وجعل تلك الخدمة على نوعين . مؤقتة بزمن معين كالصلوات الخمس والسنن الرواتب والعيدين والاستسقاء . وغير مؤقتة كالنوافل أما المؤقتة فسيأتى بيان الحكمة فى تخصيصها بتلك الاوقات وأما المطلقة فانها مشروعة لوجوه . أحدها رفع الدرجات وتكفير السيئات . وتكثير الحسنات . وتكميل ما نقص من الفرائض . كما ورد فى الحديث من رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ به الْعَبْدُ يومَ الْقِيَامَةِ من عَمَلِه صَلَاتُهُ فَانْ صَلَحَتْ فقد أَفْلَحَ وأَنْجَحَ وانْ فَسَدَتْ فقد خَابَ وَخَسِرَ فَانِ انْتَقَصَ من فَرِيضَتِه شَيْئاً فَانَّ الربَّ عزَّ وجَلَّ يَقُولُ انْظُرُوا هل لعبدى من تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ» أخرجه الترمذى وسواه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وثانيها تلذذ بالمناجاة . وحصول فى منزلة المباهاة . فيمن أقيم من الملائكة فى تلك الحالات . وشكر للنعم المتجددة . والمواهب المتعددة . وعمارة للقلوب التى خلقت لذكر الله تعالى . وإحياء مامات منها بتجديد العهد بخدمته . وتأكيد الوعد من العبد بتعظيم حرمته . وثالثها غيرة منه على عمره أن يخسر فى رأس ماله . وهو حياته . وأنفة منه على نفسه أن تمضى أنفاسه فى غير طاعة الله عز وجل وخدمته ورابعها دوام مراعاته بحضوره بين يدى مالكه فلا يشتغل عنه بسواه . فانه بده اللازم . وخامسها تسهيل عسر الموقف فى الحشر وتخفيف الحساب فى دار المآب . بتكثير الثواب . وسادسها محبة الله له كما ورد فى الحديث «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا» وقد تقرر أن محبة الله هى إنعامه عليه ومعاملته له معاملة المحبوب بايلائه لنعمه . وصرفه عنه أنواع نقمه . وليس التقرب بالنوافل هى الصلوات فحسب وإنما هى الصلاة وما كان من الافعال يقتضى ثوابا . وذلك

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

شعب الايمان الذى هو بضع وسبعون شعبة . فان أصل النافلة الزيادة . قال الله تعالى « وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً » فكأن المعنى لايزال يتقرب إلى بالزيادة فى طاعته لى من الصلاة وغيرها والله أعلم

فمن اصطفاه الله تعالى واجتباه . تولاه بحنانه وعطفه فاقامه فى أكثر أوقاته متبتلا لخدمته . متوسلا له بطاعته وجعل نصيبه من قيامه بين يديه بصلاته موفورا . وقلبه بخشية منه معمورا . فاذا وقف مصليا بين يديه . مثل بين عينيه كأنه وقف بين يدى ملك جليل مهيب . يرجى ثوابه ويخشى عقابه . لاتؤمن سطوته . ولا تنفد نعمته . له الجود الممدود . والمجد الموجود . فليلزم الادب عند إقباله عليه ويقبل بقلبه على مواجهته بوجهه . فانه فى حضرته . ولاجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْصُقْ وَلَا يَلْتَفِتْ فَإِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى قِبَلَ وَجْهِهِ » كما قال تعالى « فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللّٰهِ » أى شهود وجوده علما فى الصدور

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

كما قال « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ » فليدم على هذه الحالة حتى يقضى ما عليه من وظيفة تلك الخدمة . فليأخذ قبل الشروع فيها تطهير باطنه وظاهره . أما باطنه فبالفراغ من شواغل الدنيا وقواطعها قبل الدخول فيها بجمع همه . وإقباله على صلاته . كما أخبر صلى الله عليه وسلم عنها بقوله « إنَّ فى الصَّلَاةِ لَشغلًا » وكما قال عليه الصلاة والسلام « يُكْتَبُ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِه مَا عَقَلَ مِنْهَا » وأما ظاهره فبما أمر به من استكمال أعم الأشياء نفعا . وأسهلها وجودا . وألطفها سراية فى ازالة المستقذرات . وأتمها نفوذا فى إبعاد الفضلات . من استعمال الماء فى الثوب والبدن وأمكنة الصلاة . فاذا أحكم ذلك من أمره فليمش إلى مساجد الجماعات . ليكون قاصدا إلى اجابة نداء الداعى . بتجشمه لما يجد من المشقة فى الحر والبرد . مقبلا بصحيح عزمته . لطلب فضل الله ورحمته فى إقامة عبادته . بصلاته فى مكان شريف . مطهر موضوع لتلك العبادة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والحكمة فى شروع صلاة الجماعة وجوه : —

أحدها : وجود قيام نظام الألفة بين المصلين ولهذه العلة شرعت المساجد فى المحال ليحصل التعاهد باللقاء فى أوقات الصلوات بين الجيران

وثانيها : حصر الانفس أن تستقل بهذه العبادة وحدها فانها ربما لم تف بالقيام بها وحدها . فاذا علمت انتظار جماعة توقعها فيها نشطها ذلك على المبادرة إلى فعلها . فان النفوس تحب البطالة وتركن إليها . فاذا وجدت محركا من خارج أذعنت وأجابت

وثالثها : أن الناس بين عالم بافعال الصلاة وأحكامها وجاهل بها . فاذا حصل إقامتها فى الجماعة تعلم الجاهل من العالم فزال جهله

ورابعها : أن الدرجات والمثوبات متفاوتة فى العمال لاجل قبول الاعمال وإذا كانت الجماعة حصل فيها الكامل والناقص بحسب الحضور والغفلة فيعود من بركة الكامل على الناقص فتكمل صلاته . ولاجل هذا صح من حديث

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفَرْدِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً» ومن حديث أبى هريرة رضى الله عنه بمعناه وقال فيه «بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً»

فان قيل: هل يقع الفرق بين الدرجة والجزء. قلنا يحتمل أنهما سواء بدليل أنه قد ورد فى بعض الاحاديث «خمس وعشرون درجة» ويكون قال هذا فى حين لقوم وقال ذلك فى حين لآخرين فاعلم بما حصل من الاجزاء لكل جهة من الجماعتين. ويحتمل أن الخمس والعشرين أخبر بها أولا ثم زاد فى الفضيلة فاخبر بالسبع والعشرين فى وقتين مختلفين. ويحتمل عندى — ولم أره مسطورا — ان الدرجة فى الجنة فكأن المصلى جماعة يرتفع على المصلى وحده سبعا وعشرين درجة. والجزء فى الدنيا فانه قد ورد فى حديث أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صَلَاةُ الرَّجُلِ فى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا » فيقع الجزء والضعف فى الدنيا بمعنى أنه يكون بمثابة من صلى خمساً وعشرين والدرجة فى الاخرى بمعنى أنه يرتفع على المصلى وحده سبعاً وعشرين درجة فى الجنة وبهذا يقع الجمع بين الحديثين والله أعلم . وقيل الدرجة دون الجزء فاذا قسمنا الخمسة وعشرين جزءاً صارت درجات سبعاً وعشرين . وقيل يختلف الحال بكثرة الجماعة وحال المصلى . فان صلى خاشعاً فى جماعة كبيرة فى أول الوقت باكمال طهارتها وسترتها نال سبعاً وعشرين درجة وان كان فى جماعة قليلة وغفلة وتأخيرلهـا عن وقت الفضيلة نال خمساً وعشرين والله أعلم

ثم اذا دخل المسجد فليركع ركعتين ان لم تكن الصلاة أقيمت تعظيما لتلك البقعة واشعاراً للنفس بالتأهب للدخول فى الفرض وان دخـل فى السحر وقد ضاق الوقت عن التحية أجزأته ركعتا الفجر عنها . فاذا افتتح الصلاة بالتكبير

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فليحضر قلبه حالة نطقه به ماهو عليه سبحانه من الجلال والعظمة والكبرياء والقهر للموجودات حتى يمتلىء صدره من المهابة له والجلالة . فلا يشاهد كبيرا سواه فيطابق لفظه ماقد اعتقده وتصوره

وقد اختلف فى أول مايدعو به عند الاستفتاح بحسب مانقل عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فمنهم من اختار « الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا » ومنهم من اختار «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » ومنهم من اختار « وجهت وجهى » فالأول فيه ثناء على الله تعالى بالكبرياء والانعام . وتنزيه الله جل وعز عن النقائص . والثانى فيه تنزيه وثناء وتعظيم ونفى للشريك . والثالث أوعبها وهو اختيار الشافعى رضى الله عنه

فقوله «وجهت وجهى» أى قصدت وأقبلت بوجهى على الله بعد أن كنت عنه غافلا لاهيا ذاهلا ساهياً فأذكرنى وشغلنى بالقيام بين يديه . متعرضا لما أعده من الفضل لديه وهذا

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

هو نفس التوحيد للمعبود . قوله « للذى فطر السموات والارض » أى تصدى مصروف الى الذى من شأنه أن فطر السموات أى شقها بالمياه نازلة والارض أى بالنبات متواصلة أو شقها بان أوجدها بعد أن كانت عدماً . كما قال تعالى « أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا » أى ملتصقتين ففصلنا إحداهما عن الاخرى وانما وجه وجهه لمن هذه صفته لأنها أعظم آية تشاهدها الأبصار فلا يتصور أن تجحد للعلم بوجودها ضرورة . كما قَالَ تعالى « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ » وفى ذلك من الانابة والاجابة لقيام صفة التوحيد بالمتوجه للاله الحق الذى لا يقدر على انشاء السموات والأرض واختراعها سواه أوضح دليل . وأرشد سبيل . ثم قال « حَنِيفاً » الحنف لغة أصله الميل ومنه أحنف الرجل إذا مال ساقه لما يقابله من الجهة الأخرى . والمراد هنا

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الميـل عن الدين الباطل الى الدين الحق بمفارقة الأديان المباينة للايمان المدنى من الملك الديان. فان الحق سبحانه لمـا أبرز خلقه من طور العدم الى طور الوجود. رقاهم من الـكرم والجود فى أطوار الوجود. حتى عرفهم به. وأشهدهم عظمة جلاله فى قلوبهم. كما أخبر عنهم بقوله تعالى «والله أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» فكأنهم لمـا آمنوا به ووحدوه مالوا بالعقل والرسالة عما أخرجهم عليه من النشأة الاولى التى هى الجهل الى العلم به فوحـدوه وكفروا بمن دونه. فكانوا حينئذ حنفاء أى مالوا عن الباطل واستقاموا على الحق. ثم قال «مسلما» لمـا ذكر الميل وهو العدول عن الشيء أثبت صفة أخرى تضادها وهى الاستقامة وانمـا تحصل بالاسلام وهو الانقياد للامر والنهى قال تعالى «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» وقال تعالى «إِنَّ الدِّينَ عِنْـدَ اللّٰهِ الْإِسْلَامُ» فان

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

حصل الانقياد فى الظاهر والباطن. والسر والجهر. والعسر واليسر. والنشاط والكراهة. والضيق والسعة. كان الدين الكامل الذى خاطب الله به خلقه وهو الذى سأل ابراهيم من ربه فى قوله « رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ » وإن اختلف الحال ظاهرا وباطنا أو اختل شىء من أفعال الظاهر. كترك الواجبات وارتكاب المنهيات لم يكن كاملا كما بين الله تعالى ذلك فى قوله « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا » فمن انقاد لقضاء الله ورضى به ولاحكام الشريعة وعمل لها كان مسلماً حقاً كما قال تعالى « وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى » فاعلمنا ان من انقاد لأمره. وأذعن وأطاع بترك نهيه. وأحسن فى فعله لنفسه ولغيره. فقد اعتصم عن الهلاك بأوثق العرى. وانتظم سلك نجاته فارتفع قدره بن الورى. ثم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

قال « وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » فلم يكتف بالحنيفية والاسلام
حتى نفى الشرك عن نفسه اذ من الممكن وجود الشرك
مع هاتين الخصلتين فى وقت دون وقت فنفى وجوده عنده
مع قيام تينك الصفتين ليحقق بذلك تمام توحيده وكمال
إيمانه . اذ الشرك مناف للتوحيد والشرك هو إثبات الشريك
والتوحيد إفراد المعبود بالالهية . ثم التوحيد يتعلق بالذات
والصفات والعبادات . قال الله تعالى « أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ
خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ » وقال
تعالى « وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ » وقال تعالى « وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » والشرك تختلف مراتبه . ويتصرف على
وجوه وأنواع النوع الأول الشرك فى الالهية ونفى ذلك بالاقرار
بأنه لا إله غيره يعينه فى تدبير مملكته فيتبرأ من اعتقد ذلك عن
النصرانية فى القول بالتثليث وعن الثنوية والوثنية فيمن
عبد الاصنام وقال « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى » وعن

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

المجوسية فى اعتقادها أن للعالم مدبرين نور وظلمة يدبران الخير والشر . والنوع الثانى الشرك فى القدم وينفى ذلك بالاعتراف بأنه سبق وجوده الأكوان والأزمان وأن لاقديم معه يشاركه فى علو الشان . وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث عمران بن الحصين رضى الله عنه «كان الله ولا شىء معه» فيخرج بذلك عن القائلين بقدم العالم من الدهرية والفلاسفة وكما ثبت أن لا شريك له فى الالهية فكذلك فى القدم . والنوع الثالث الشرك فى الملك والملك فى التدبير ومعالجة نفيه بالاعتراف بأنه لا مالك يتصرف فى الخلق حقيقة سواه فيتبرأ بذلك عن مقالة النفاة لعلم الله تعالى وإثبات الشركاء له كما كانت الجاهلية تعتقد وتقول فى تلبيتها لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . والنوع الرابع الشرك فى الصفة كالتشبيه والتجسيم وينتفى ذلك بالاقرار بأنه غير قابل للمثلية كما أخبر عن نفسه بقوله «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» فيخرج عن المشبهة من الفرق المذمومة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

كالكرامية وغيرهم . والنوع الخامس الشرك فى الفعل فلا فاعل فى الوجود سوى الله تعالى على الحقيقة اذ لو شاركه غيره لافتقر الى معين أو لو استقل فاعل بالفعل دونه لوقع مالا يريد ومن كان كذلك لا يكون إلها وكما لا شريك له فى الالهية والقدم فكذلك لا شريك له فى إيجاد الأفعال فيخرج بذلك عن مذهب الاعتزال والقدر وهما من أصعب الفكر وأعظم الخطر على البشر . والنوع السادس الشرك فى العبادة كما نهى الله عنه بقوله « وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » وكما قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِى فَلْيَلْتَمِسْ جَزَاءَهُ مِنْهُ » وينفيه باعتقاده أن سواه لا يستحق أن يعبد فيفرده ممن عبد سواه واتخذ إلهه هواه وكان ممن ذمه الله بقوله « أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ » والنوع السابع الشرك فى المقاصد وينتفى بالاخلاص المميز بين الصحيح منها والفاسد وهذا هو شرك المسلمين الغالب على قلوب

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الغافلين المعرضين عن محاسبة أنفسهم فى أنفاسهم
وحركاتهم وسكناتهم ممن أصمه الله وأعماه واتبع هواه
فارداه وأضله الله بعلمه وماهداه . وللشرك تنويعات
أخرى سوى ماعينا بحسب الأقوال والأفعال والمقاصد
فقد أتى على نفى جميعها بقوله «وَمَاأَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»
والالف واللام على هذا للاستغراق ويحتمل أنها للعهد
أى لست من الشرك المعهود الواقع من المعاند لله فى شىء
بل أناموحد لله حقا ثم قال «إن صلاتى» بدأ بالصلاة لأنها
أخص العبادات المتكررة لله لاشتمالها على أنواع متعددة
مجتمعة فيها . ثم قال «وَنُسُكِى» تلاها بالنسك وهو التعبد
وقد يكون ذبحا ويكون صلاة . قال الله تعالى «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ» أى طريقة يسلكونها موصلة الى
مقصدهم من ضلال كان أوهدى فهذا تأكيد لنفى الشرك
عن عبادته . ثم قال «وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى» اشعار واعلام بان

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الملك لله حقيقة فلا مالك يتصرف على الحقيقة غيره فهو تاكيد لنفى الشرك فى الملك يعنى الحياة والممات وهما أمران لازمان لوجود الانسان لست أملكهما من نفسى مع مصاحبتهما لى فكيف أملكهما من غيرى وقد نبه الله على ذلك بقوله الحق « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ » فاشعرهم بهذه الآية ان الخلق كله ملك لله وأنه يتصرف فيه إيجاداً و إعداما بالابقاء والافناء والتدبير بحسب القهر بالملك بجميع ذلك و أن بداية عقولهم حاكمة عليهم جازمة جزما أوليا بان ذلك لله كما أخبر عنهم فى الآية الأخرى بقوله « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ » فالآية الأولى دلت على نفى الشرك فى الذات ومن خلق شيئا واخترعه فقد اقتطعه عن غيره واختص

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ملكه به وسلط سلطنته عليه وحده. ثم قال « لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » فالرب يطلق بمعان منها المالك وهو الأليق منها ههنا وقد يكون بمعنى السيد المربى عباده بما أسبغ عليهم من نعمه وأجراه فيهم من قسمه . والمربى أنواع الموجودات بابرازها من عالم الخفاء الى عالم الظهور . وافراغها فى قالب الكمال على أتم الوضع وغاية التناسب والاعتدال والعالمون جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى ويقال انما يطلق من الموجودات على من كان يعقل فيختص بالجن والانس والملائكة . قلت ولعل القائل الأول ذهب الى قول من قال ان جميع الموجودات خلق فيها ادراك به تطيع وتنطق استدلالا بظاهر قوله تعالى « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » وبقوله « ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » وأول من منع ذلك أن هذا حكاية أحوالهما فى التكوين والتسخير

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وايصال المنافع المعدة فيها بخلق الله تعالى لا أنه نطق يسمع ويفهم ويعبر عنه وللعرب فى ذلك مذهب معروف. فلما أثنى على الله بأنه مالك لمماته ومحياه وذلك يختص به أثنى عليه بانه كما ملك ذلك منه خصوصا. فقد ملك الموجودات بأسرها عموما. أو ملك من يعقل من نوعه وجنسه فان ذلك أبلغ فى نهاية التعظيم للملك العظيم. لاختصاص من يعقل بمزيد التشريف والتكريم. ثم قال «لَا شَرِيكَ لَهُ» أى لا معين ولا مساعد له فى تنفيذ أحكام الربوبية بل هو المستحق للعبادة المستقل بابداع السموات والأرض من غير مشارك له. وخص السماء بالذكر لظهور أمرها للعقول من ترتيبها بالشمس والقمر والكواكب وترتيب النور والظلمة فيها بتعاقب الليل والنهار ونزول الأمطار والأرض بالنبات ومعادن الذهب والفضة والحديد وغير ذلك وذلك كله مشاهد بالأبصار ثم قال «وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ» اى بالتوجه الى الرب أى من شانه الابداع والاختراع

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لها . ثم قال « وأنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ » أى المنقادين لأمر الله فى التوجه له وهذه الجملة وإن كان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه قد قالها وقال فيها وأنا أول المسلمين يريد فى عصره فانه هو الذى سمانا بذلك كما أخبر الله تعالى عنه فى قوله « سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ » وقد صح من حديث على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم . فمن قاله فليقل وأنا من المسلمين وبهذا الوجه أخذ الشافعى رضى الله عنه فى الفرض والنفل وأخذ أبو حنيفة وغيره رضى الله عنهم بالحديث الذى فيه « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ[1] » والأمر فى ذلك واسع فالتسبيح قد تقدم أنه التنزيه عن كل عيب ونقص . والمعنى أنزهك عن النقائص التى أضافها اليك ووصفك بها من جهل

---

(١) قوله « وبحمدك » قال النووى أى وبحمدك سبحتك ومعناه بتوفيقك لى وهدايتك وفضلك على سبحتك لا بحولى وقوتى ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة والاعتراف بها والتفويض الى الله تعالى وأن كل الأفعال له والله أعلم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

قدر عظمتك والحمد الثناء بما يستحقه المحمود من ذكر محاسنه
واحسانه والبركة الزيادة الثابتة والتعالى وجود العلو الكامل
والجد العظمة ويطلق على الحظ أى ارتفع حظك ونفى
الالهية عن سواه لأنهم كانوا يعبدون آلهة كثيرة كل واحد
يعبد ما يخطر له . فنفى ذلك الفعل الواقع منهم عن نفسه
وأثبت الالهية لله وحده فليلاحظ فى كل كلمة ماتقتضيه
من المعنى ليحصل له بذلك الحضور فى وقت صلاته فهذا
ما يتعلق بالتوجه وبه تم الفصل الأول

الفصـــل الثانى

فى الأدعية المتعلقة بالصلاة
وما فيها من جلب البركات ودفع الهلكات

أعلموا أن الآدعية هى الأسلحة العتيدة فى رفع
الكربات الشديدة . والاستقراء فى الوجود شاهد لما قلناه
ولما كانت الصلاة المقصود الأعظم منها وجود المناجاة كانت
الأدعية فيها متوفرة الحالات . فالأدعية فيها فى مواضع :

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الموضع الأول القيام . وفيه آمين ومعناه اللهم استجب فانه لما سبق السؤال فى قوله «اهْدنَا» أتبعه بالسؤال باجابة ما دعاه به من الهداية لطريق المنعم عليهم

الموضع الثانى الدعاء فى الجلوس بين السجدتين روى سعيد بن جبير رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين «اللَّهُمَّ اُغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاُجْبُرْنِي وَاُهْدِنِي وَارْزُقْنِي» أخرجه الترمذى وأخرجه أبو داود وقال بدل واجبرنى وعافنى وانما خصت هذه الحالة بالدعاء لأنها متوسطة بين حالات من قيام وركوع وسجود تشتمل على ثناء على الله وعند تقدم الثناء يحسن السؤال كالطالب للحاجة من الملك أو الرفيع القدر من الناس يثنى عليه أولا ثم يساله حاجته ثانيا فالمجموع من الحديثين سؤال ستة أشياء : أولها المغفرة وهى ستر الذنوب والمعاصى بترك المؤاخذة بها فليمثل ذله بين يديه وعز من هو سائله فى الدارين وذلك اعتراف من

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

العبد لله بذل العبودية وعز الربوبية : وثانيها الرحمة وهى
من الله تعالى قرب إحسانه من العبد . ومعاملته به معاملة
الراحم . لأن الراحم فى الدنيا يميل بقلبه فيحسن لمن مال
اليه لما وقع له فى قلبه من الحنان والعطف عليه . فلما
استحال الميل فى حقه سبحانه انتفى عنه وبقى مايليق به
من الانعام والاحسان لمن رحمه فيمثل قرب جوده منه
واحسانه اليه للطفه به وكرمه عليه : وثالثها الرزق . لما
كان الجسد لا قوام له عن المعاش وحصل سؤال الأعم النافع
فى الدارين تعين سؤال الأخص الذى هو الرزق المخصوص
به دار الدنيا وأصل الرزق العطاء قال الله تعالى «وَمَنْ رَزَقْنَاهُ
مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا» و «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ» وقال تعالى «مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ
مِنْ رِزْقٍ» فليمثل أنه قد رزق فيما مضى وأن ما ياتى فمضمون
الوفاء به والمراد بهذا السؤال التيسير والادامة لما كان
قد سبق لا الانشاء لما لم يسبق ولم يقدر : ورابعها الجبر
ومعنى الجبر الاصلاح ومنه جبر العظم أى إصلاحه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وازالة كسره فليمثل أن كسره قد جبر بايمانه وعبادته وخامسها العافية وهى فى الدنيا صحة الجسم وسلامته عن الآفات. وفى الأخرى السلامة عن الأهوال والعقوبات فليمثل أنه أنعم بها ابتداء. وأمد بدوامها عليه انتهاء. وأن مامن زمن يمضى بلا مرض إلا وهو من الله نعمة فى حقه اذصرف عنه الآلام والأسقام المنهكة للأجساد: وسادسها الهداية وأصل الهدى البيان للشيء ومنه قوله تعالى «أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ» وقوله تعالى «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» وضده الضلال والعمى فكأن من تبين له الشيء اتبعه ومن خفى عليه ضل عنه وعمى عن اتباعه فليمثل مامن الله به عليه من الهدى عن الضلال ومجانبة الكفر وليعلم أنها نعمة من الله له مهداة. يتعين عليه شكره فيما له منها قد أولاه:

الموضع الثالث الدعاء فى التشهد الأخير . ورد من حديث محمد بن أبى عائشة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» صحيح أخرجه مسلم وسواه. ولما كان التشهد الاخير منتهى العبادة المفتتحة بالثناء على الله تعالى ناسب ذلك الدعاء بهذه الكلمات لأنه لما أثنى على الله تعالى وسأله الهداية والجبر لكسره فى صلاته استعاذه من الشرور والاعاذة من هذه تجمع البعد عن الشر كله فان من أجير من عذاب جهنم فقد استعمل بالطاعة أوعفى عنه من الجناية ومن وقى عذاب القبر فقد ثبت عند السؤال وأمن إقامة الحجة . ومن حمى عن فتنة المحيا فقد أجير من المخالفات والأهوية المؤدية الى الهلكات . ومن كفى فتنة الممات . فقد انقلب عن العطب إلى السلامة من الآفات . ومن أمن فتنة المسيح الدجال . فقد ثبت الايمان فى قلبه ولم يخف من تلك الأهوال . ولما كان وقت مجيئه مجهولا كقيام الساعة تعين الاستعاذة منه فى جميع الأحوال

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وقد وردت أدعية أخر بعد التشهد وقبل التسليم وتتبعها يطول . ومن أرادها تتبعها من مظانها . وتدبر معناها بما يليق بها . وهذا منبه عليها . والمقصود أن يكون العبد حاضراً فى أقواله وأفعاله غير مهمل لفكرته فى معاده والله تعالى أعلم

الموضع الرابع الدعاء فى القنوت وقد اختلف العلماء فى القنوت وفى محله وفى لفظه وفيما يقنت فيه من الصلاة فقال الشافعى وأصحابه رضى الله عنهم يقنت فى الصبح بعد الركوع بالكلمات التى فى حديث الحسن بن على رضى الله عنهما . وفى الوتر فى النصف الأخير من شهر رمضان ويدعى على الكفرة . وقال مالك يقنت فيها وهو مخير قبل الركوع أو بعده ولم يعين تلك الكلمات . واختيار أصحابه قبل الركوع . وقال أبو حنيفة . والامام أحمد رضى الله عنهما : لاقنوت فى الصبح بحال . ويقنت فى الوتر فى جميع السنة . قلت واختار جمع من أصحاب الشافعى القنوت فى الوتر مطلقا وهو اختيار الامام أبى المحاسن

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الرويانى[1] وغيره وأنا أختاره وأفعله وحديث الحسن بن على رضى الله عنهما فيه «علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى قنوت الوتر» وبه احتج الشافعى وأصحابه فى تعيين الكلمات حتى لو تركها لسجد للسهو فاذا كانت متعينة فيما لم ترد فيه نصاً فبالطريق الأولى تعينها فيما وردت فيه وقد جمعت الكلمات الواردة فيه خير الدارين فان الدعاء طلب بتذلل وخضوع . والطلب اما لجلب منفعة أو دفع مضرة . اما عاجلا . أو آجلا . وقد وجد ذلك فى القنوت فقوله «اللَّهُمَّ اهْدِنِى فِيمَنْ هَدَيْتَ» سؤال للهداية مع الاعتراف بوجود قوم مهتدين وهذا طلب نفع فى الدين وقدمه لأنه الأصل الذى عليه بناء صحة الأعمال وقبولها وثمرته هى الغاية المطلوبة للعبد وإنما يحيا فى الآخرة

---

(١) هو الامام عبد الواحد بن اسماعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الرويانى الطبرى الفقيه الشافعى المولود سنة خمس عشرة وأربعمائة المتوفى سنة اثنتين وخمسمائة كان حافظا للمذهب وكان يقول لو احترقت كتب الشافعى لأمليتها من قلبى . كذا فى الكامل لابن الأثير

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فكان أحق بالتقديم لشرفه قوله « وَعَافِنِى فِيمَنْ عَافَيْتَ »
طلب العافية مأمور به وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر
الدعاء به فلما سأل الهدى وذلك راجع إلى الأديان سأل
العافية بعده فى الأبدان ليظفر من الحسنيين فى تحصيل
السعادة بمجموع الأمرين قوله « وَتَوَلَّنِى فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ »
الولاية هى الاعانة بالعناية . وهى شاملة لدفع مايخشى .
وتحصيل مايرجى . لأن من تولاه الله كفاه . وآتاه مارجاه .
وحماه مايخشاه . قوله « وَبَارِكْ لِى فِيمَا أَعْطَيْتَ » أصل البركة
الزيادة من عطاء الله له فى ذلك لتكون النعمة دائمة مستقرة
قوله « وَقِنِى شَرَّ مَاقَضَيْتَ » لما طلب الزيادة منه فيما أنعم
به عليه من العطاء سأل منه الوقاية من المكروه فقد
يحصل النفع ويعقبه الضرر فكأنه سأل منه السلامة
المدامة فى الدارين . والبركة الكاملة فى الحالين . فلما تم
سؤاله لنفسه أثنى على الله تعالى بما يستحقه مقابلا

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

للاوصاف السابقة باضدادها فقال « إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ » أى إن لك القهر للخلق بالقضاء السابق . الجارى على وفق العلم إلى الأجل المعلوم . ولا أحد يقدر أن يقضى عليك بتغيير علمك . قوله « وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ » لما سأل الولاية ابتداء أخبر أن من والاه الله لايذل أى لايخضع ولا يقهر قوله « تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ » أى دام خيرك وقام علاؤك قوله « وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ » لما تقدم دعاء سابق . وثناء لاحق . عقبه بذكر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لما فى ذلك من المناسبة كما فى التشهد وقد ذكر النسائى فى بعض طرق حديث القنوت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وذلك زائد والأخذ بالزيادة أولى ومنع من إثباتها بعض متأخرى أصحاب الشافعى والاظهر خلافه والله الموفق

الموضوع الخامس الصلاة على النبى صلى الله عليه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وسلم أما فى التشهد الأول فهل يسن ؟ فيه قولان : وأما فى الأخير فواجب قولا واحداً على مذهب الشافعى وأصحابه ولم يوافقه على ذلك جمهور العلماء قوله « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ » أصل الصلاة فى اللغة الدعاء ومنه قوله تعالى «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ» أى ادع لهم وهى من الله تعالى الرحمة لخلقه وصلتهم بخيره بعد انقطاعهم عن نيله . وقد اشتهر حتى صار شعاراً لمنصب النبوة المحمدية تميزت به فلا يطلق على سواها استقلالا . أدبا معها وجائز إطلاقه على سبيل التبعية كما أمر به فى قوله «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ» ولما اختص بذلك كان له أن يصلى بنفسه على من شاء مستقلا كقوله « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى » وقد قال الله تعالى فى حقه « إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ » فمن كانت صلاته سكنا كان له أن يصلى بنفسه وذلك معلوم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم لوجود الخبر به عن الله تعالى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ومجهول حال غيره فى ذلك فاختص به . هذا هو المنقول عن أصحاب الشافعى رضى الله عنه وعنهم . وجوز سواهم ذلك وله فى النظر وجه ظاهر . وإذا تقرر أن الصلاة منصبه وحقه كان له التصرف فيه على ما يؤثره هو ويختاره وليس لآحاد أمته الجرءة على منصبه فيتعرض له بأن يضعه فى غير موضعه . قوله « كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ » فان قلت المشبه به ينبغى أن يكون أعلى رتبة من المشبه وأشرف نسبة . ولما أمرنا أن نسأل له صلاة مثل صلاة ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتضى أن تكون تلك الصلاة أكثر . ومن كانت الصلاة عليه أكثر كان أفضل . قلت للعلماء عليه جوابان أولهما أنه شبه الصلاة بالصلاة على الآل وآل ابراهيم أنبياء والأنبياء أشرف من غيرهم وهذا على رواية من قال « كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ » ولم يذكر إبراهيم . وثانيهما أنه شبه المجموع من النبى والآل بالمجموع من إبراهيم والآل . فيحصل للمصطفى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

محمد صلى الله عليه وسلم ولآله مما سأل لهم من الصلاة
ما يقارب الصلاة الحاصلة على إبراهيم وآله اذ منهم أنبياء
بل هم معظم الأنبياء . ثم يتوفر نصيب محمد صلى الله عليه
وسلم من القسم الذى حصل له ولآله فلا يحصل لآله إلا
مثل ما حصل لآل إبراهيم إذ لا يبلغون مراتب الأنبياء .
واذا توفر نصيبه من ذلك زادت الرحمة فى حقه على إبراهيم
عليه الصلاة والسلام فظهر بذلك فضله صلى الله عليه
وسلم . قلت قد ظهر لى ووقع عندى أن التشبيه إنما
وقع فى العطاء ولا يلزم من سؤال زيد أن يعطى كما
أعطى عمرو أن يكون عمرو أفضل من زيد إنما سأل
لسبقه بالزمن فسؤال المصطفى لذلك إنما وقع لسبق
إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالزمن أى إنك قد صليت
عليهم فى زمن تقادم عن وجودى فى الصورة صلاة كاملة
بالمزيد كافلة . وأوصلتهم رحمة عامة وبركة شاملة . إذ
نشرت ذريته . وأظهرت كلمته . وأهلكت أعداءه وجعلت
النبيين عليهم الصلاة والسلام من ذريته . فكمل الصلاة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

على وعلى الآل الذين هم إما الأقارب الذين حرمت عليهم
الصدقة أو الأمة على الاختلاف فى ذلك كما كملت ذلك على
أولئك فلا يلزم من ذلك كثرة ولا أفضلية للمشبه به
وإنما يلزم له الكمال والسائل سأل مثل ذلك الكمال مضافا
إلى ما اختص به ويعضد هذا أنه عليه السلام لما حرم المدينة
قال « اَللّٰهُمَّ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا »
فذكر تحريم مكة لسبقها عليها . فان قلت مكة أفضل
من المدينة . قلت هذه مسألة اختلف العلماء فيها وإن كنا
نعتقد أن مكة أفضل لكن الحديث لا دلالة فيه على تفضيل
إحداهما على الأخرى فلا حجة فيه وإنما مقتضاه إثبات
حرمة سابقة وإثبات حرمة لاحقة قوله « إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ »
فعيل بمعنى مفعول وهو أبلغ منه فلذلك عدل عنه أى إنك
المستحق لما تنوع من الحمد والمجد أى إنك محمود ممجد
والمجد الشرف والرفعة ومنه قول العرب : فى كل شجر نار
واستمجد المرخ والعفار . اى علا وزاد ناره والمعنى إنك

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لمـا كملت صفاتك من أنواع المجد أى الشرف والعظمة كنت محتويا على ضروب الحمد مستحقا له بغير شريك لك فى ذلك . وبه تم الفصل الثانى فى الأدعية

الفصل الثالث

فى الأثنية المختصة بالصلوات ومافيها من العبرة عند المناجاة

وهى وجوه: الوجه الأول التكبير وهو تفعيل من الكبر بفتح الباء أى جعله كبيرا أى عظيما ومعناه أكبر من تكبيرنا له ومن واصف به له أو أكبر من كل كبير يعتقد أنه كبير : ولمـا كان المقصود من الصلوات ذكر المعبود اقتضت الحكمة الالهية أن يامر بالابتداء بتعظيمه لانه أدعى الى لزوم الادب فى الوقوف بين يديه فكان التكبير له دالا على كبريائه وعلائه يستشعر قلب المصلى هيبة وعظمة فى صدره يخضع فيها قلبه . وتخشع جوارحه . وتلين بشرته ويجتمع خاطره ويقبل بكليته على صلاته ويفرغ قلبه عن الشواغل ويحميه عن امتداد الفكر المستولية عليه . حتى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لا يدرى هل هو فى صلاته أم لا فيكثر منه بفكرته فيها السهو . وهذا هو المعنى المشار اليه فى قوله عليه الصلاة والسلام «يُكْتَبُ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِه مَا عَقَلَ مِنْهَا» أى ما كان فيه منها حاضرا كتب له ومعناه ما حضر فيه كتب له به صلاة كاملة تامة بحضوره وخشوعه فيها وما لم يكن فيها حضور ناقصة فى ثوابها عن تلك . وقد أشار عليه الصلاة والسلام الى تعظيم المعبود بقوله فى حديث عمر رضى الله عنه وسؤال جبريل صلوات الله عليه وسلامه قال «مَا الْإِحْسَانُ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» ومن عبد الله على هذه الحالة لم يبق فى قلبه ما يسع سواه بل يستغرق فى جلال الهيبة ويتقلب فى السؤال بالرغبة والرهبة . ويبقى مفرغا عن الشواغل . مشغولا به عن المقاطع له والمواصل . وهذه الحالة لعسرها . لا يتأتى لأكثر الخلق حصولها على الدوام وقد تحصل أحيانا لبعض الخواص . وأما أرباب التوجهات والمعاملات . فأقل أحوالهم استعمالها فى صلاتهم وقرباتهم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وهـذا هو الحكمة فى تـكبيرات الانتقالات . فان المصلى عندتكبيرة الافتتاح يشاهد بقلبهعظمة معبوده . مستحضرا له فى معلومه . ثم ينتقـل الى الاشتغال بالتوجه والتلاوة بلسانه ويتفـكر قلبـه فى تدبر معانى ذلك فقد انتقل عن حالته الاولى وربمـا تخرجه الفـكرة الى غفلة . بحسب مايغلب على قلبه منها . فاذا انتهت القراءة انتقل الى الركوع فـكبر . وتذكر ما كان أولا قد تصور . فتجدد عنـده ما كان تقدم فى ذهنـه من التعظيم . وكذلك فى أطوار تـكبيرات الانتقالات التى فى الصلاة ينبغى له أن يجددفى كل تـكبيرة ماسبق من استحضار تعظيمه . حتى يكون ملاحظا لرداء الـكبرياء والعظمة . الدالة على جلالة قدره وعلو شأنه وقهره . فليشعر قلبه حالة نطقه بتـكبيرةالافتتاح وباقى التـكبيرات أن لا كبير سواه يستحق الـكبرياءوالعظمة وأن من سـواه فهو حقير عاجز فيستفيد بذلك قطع أمل قلبه عن التعلق بغير ربه

الوجه الثانى التسبيح فى الركوع والسجود وقدعلم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

مما تقدم أن التسبيح موضوعه التنزيه ونفى النقائص واثبات خصائص الكمال للمعبود فليلاحظ عنده كماله فيما وصف به نفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى وليستقر فى ذهنه من حضره من ذلك

الوجه الثالث الثناء بعد الرفع من الركوع ومن السجود فليلاحظ فيه ماأنعم الله به عليه من تسوية صورته وتحسينها وتأهيله لخدمته . وامتاعه بصحته . وأن لامانع ولامعطى سواه . فيقوى بذلك يقينه . ويزداد من قربه من الله تمكينه

الوجه الرابع التشهد وقد اشتمل من الثناء على الله عزوجل وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الصالحين الماضين والآتين من المؤمنين بالسلام عليهم مايأتى بيانه فى المطلب الثانى : وبه تم المطلب الأول

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

المطلب الثانى

فى تنوع الحركات فى الصلاة

واختصاص كل نوع بذكر من الأذكار المشروعات

إعلموا — وفقنا الله وإياكم — ان الصلاة مناجاة من العبد للمولى . ومباهاة للملأ الاعلى . وتذكير للعباد بوظائف الخدم المتنوعة بالهيئات . وآثار الطاعات . اللسان بالنطق والقلب بالفكرة . والجوارح بالحركات . وليس من شيء من العبادات خارج عن هذه الجهات . وعلى الجملة فالمدار على القلب الذى هوممدللبدن والجوارح بنور الهداية والعناية فموضوع الصلاة مخالفة العادات بقطع الارادات . والتأهب للمثول بين يدى الملك المطاع . بهيئة مخصوصة الأوضاع سابقا ولاحقا . أما سابقا فالطهارة فى الظاهر . فى البدن والثوب . والمكان . والحكمة فى ذلك الزام النفس المشقة بالخروج عما ألفته من الغفلة . بمصاحبة العادة . حتى تتاهب للوقوف فى الخدمة على أكمل حالة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ولننبه على شيء من أسرار الوضوء . فالأمر بالسواك لتطهير ما بقى من فضلات الأغذية فى الفم . أو الرائحة الكريهة . والأمر بغسل الكفين قبل الشروع فيه ثلاثا تاهب للتنظيف التام قبل إيصال اليد بالفم للمضمضة بأنه فى الوجه والوجه أشرف عضو فى الانسان لكماله بما اشتمل عليه من الحواس الأربع التى هى السمع والبصر والشم والذوق . والخامسة اللمس ومحلها الكف ولذلك أمر بتطهيره قبل الشروع فى غسل الوجه . ويتمضمض ليطهر فمه مما صدر منه فى وقت الغفلة من الكلام الخبيث . ويكون ذلك تنبه وينظفه من آثار ما تعلق به من فضلات أغذية ورائحة كريهة . ويستنشق ويستنثر ليزيل ما فى الأنف من بقايا الفضلات وليطهر مجارى أنفاس الغفلة منه حتى يدخل فى الصلاة نقيا من الحالين فيقصد بتمضمضه تطهير فمه مما سبق إليه لسانه وجرى عليه من اللغو واللهو . والعمد والسهو . فكأنه فى معنى النجاسة العينية التى يطهر المحل منها وباستنشاقه تطهير

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الخياشيم مما كان جارياً فيها من أنفاس الأفكار المذمومة والغفلات المعلومة . فانها كانت على جارى عادتها مقيمة فليغيرها عن تلك العادة بهذه العبادة . ثم يغسل وجهه فيطهر أشرف ما فيه فان بصره قد شاهد زهرة الحياة الدنيا وزينتها وهو السبب فى ميل القلب اليها وطرفه ربما امتد إلى ما أمر بالغض عنه فغلب عليه هواه . فاهواه فى المخالفة وأرداه فالماء مطهر لظاهره والاقلاع بالندم مطهر لباطنه ثم يغسل يديه لأن بهما قوته وبطشه ومعونته فى حركته عند مشيته . وهما منه كالجناح من الطائر فى الاعانة فيقصد تطهيرهما مما لابستاه مما لم يؤذن فى فعله ثم يمسح رأسه ويقصد به تطهيره عن الكبر فانه إذا استوقد نار الجبروت فى النفس تصاعد دخانه إلى الدماغ فأمال خده فى مشيته وخطر بيده متمايلا متبخترا مختالا متكبرا كما قال الله تعالى «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» ثم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

يمسح أذنيه و يقصد بهما تطهيرهما مما سمعتاه مما لم يؤذن
فى استماعه . ثم يمسح رقبته عند بعض العلماء وهو
اختيار بعض الشافعية لحديث ورد لا يثبت مثله وليس به
بأس فان الرقبة حاملة للرأس معينة له على ميله عن الصواب
فكأن المسح إشارة إلى البراءة من الاعانة على الفعل
المذموم. فان قلت لم خص الرأس والأذن بالمسح؟ قلت لأنه
ليس فيه إدراك يخفف عنه بخلاف الوجه فان البصر فيه
وإدراك العلم يحصل بالمشاهدة واليد باللمس فهما أقوى من
إدراك السمع . وأما الرأس والعنق فلا إدراك لهما
وعلى قدر قوة الادراك تحصل اللذة . وعلى قدر قوة اللذة
تكون العقوبة والزجر . أو المثوبة والشكر . ولأجل
ذلك أمر بغسل الذكر فى المذى وبغسل جميع البدن
فى الجنابة فان اللذة قد عمته عند قيام الشهوة بالنفس الحيوانية
ثم يغسل رجليه ويقصد بغسلهما تطهيرهما مما مشتا فيه
مما لم يأذن فيه الشرع . وفائدة ما أفدته أن كل عضو
ممسوح أو مغسول ينبغى أن يستحضر عنده ما قدمناه . وأن

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

يقرن ذلك بالتوبة مما يصح نسبته إلى ذلك العضو ولأجل ذلك قرن الله التوبة بالطهارة فى قوله تعالى « إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ » والآية وإن كانت نزلت على سبب خاص فى قوم مخصوصين فان اللفظ صالح للعموم فى تطهير الظاهر والباطن . والنجاسة الصورية والمعنوية فان المخالفات الباطنة من الحسد والكبر والرياء والشرك كلها نجاسات معنوية مأمور باجتنابها كما أمر باجتناب النجاسات الصورية من البول والدم وغيرهما والله أعلم

ثم يدعو فيقول ما رواه عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » وروينا من طريق أنس رضى الله عنه وقال فيه ثلاث مرات « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » ويقول ايضاً « ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِى مِنَ ٱلتَّوَّابِينَ وَٱجْعَلْنِى مِنَ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وَاُجْعَلْنِى مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » والمراد اجعلنى ممن أحببته
لما تاب وتطهر أو ممن يكون فى المستقبل على مثل هذه
الحالة من التوبة والطهارة

ثم ليركع ركعتين قبل الشروع فى السنن الرواتب
وينوى بهما شكر الله تعالى على ما أقامه فيه من إتمامه
ليحصل طهارة ظاهره وباطنه . فاذا فعل ذلك فقد أكمل
طهارته . وأقبل على عمل الفرض وقد أصلح حالته . فيتقدم
ويصلى السنن الرواتب إذ لا بد أن تبقى بقايا فى النفوس
عما كان سلطان الفكر قد أثر فيها فيزيل ذلك فعل
تلك السنن فيصلى قبل الظهر أربعا وبعدها أربعا . والحكمة
فى ذلك أن المعاش والمصالح أكثرها من الصبح إلى
الزوال فتكون الخواطر بها معمورة والأفكار بها مشغولة
فاذا شرع فى الصلاة وهو على تلك الحال انسحب حكم
ما كان فى ضميره على صلاته فلم يحصل له كمالها بالحضور
فيها فاذا مرن نفسه قبلها بالنوافل حصلت له يقظة فدخل

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فى الصلاة متفرغ البال من الأشغال . فكانت النافلة أربعا قبل
الظهر بقدر مقدار الفريضة وأربعا بعدها لتجبر ما كان فيهما من
خلل . ولطول مدة الغفلة وكثرة عمارة الخاطر بالأشغال السابقة
ولأن أكثر المتهجدين ينامون بين الصلاتين فكانت الأربع
جبرا لما يحصل من الغفلة بالنوم فى ذلك الوقت وأربعا
قبل العصر لتمرين النفس ولجبر النقص الحاصل فى فعلها
وأما من العصر الى الغروب فانه وقت الراحة من التعب
المتقدم فى البدن والفكر وهو وقت نهى عن الصلاة فيه
لما كانت الكفار تعانيه فيه من تعظيم وقت الغروب
والسجود للشمس وكذلك عبدة الشمس منهم . فاذا تحقق
غروب الشمس بادر الى المغرب من غير سنة قبلها
وكذلك العشاء فانها تدخل والناس متأهبون لقرب ما بين
الوقتين بل أكثر المتوجهين يواصل ما بين العشاءين بالصلاة
فكانت سنتهما بعدهما جبرا لما يقع فى الصلاتين من غفلة
وتفويت حضور مع الله سبحانه وما أشرنا اليه فانه أمر
واقع يجده الانسان من نفسه بالاستقراء فى الوجود فحينئذ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

يفتتح الصلاة المفروضة بقلب وذهن حاضر . وخشوع قائم . وأدب ملازم

والهيئات التى تشتمل عليها الصلاة متنوعة الى قيام وركوع . وسجود . وجلوس

النوع الاول القيام . وموضوعه للتعظيم والاحترام والاهتمام بالاكرام وهو شاهد فى موضوع العوائد لمن يقام فى خدمته بالمكانة والجلالة . ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن القيام فقال «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وقال عليه الصلاة والسلام «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ عَلَى رُؤُسِ مُلُوكِهَا» ثم خص الشارع هذه الهيئة من التعظيم بالكلام القديم لما اشتمل عليه من الثناء على المعبود . والدعاء المقصود . والقيام أوائل هيئة التعظيم . ومبادى رتبة التكريم . ولهذا المعنى تكررت القراءة بالفاتحة فى ركعات الصلاة لاشتمالها على معان لا يفى غيرها بها ولا يقوم سواها مقامها وسيأتى بيان ذلك

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

إن شاء الله تعالى فى الطرف الثالث . ثم الاتيان بما تيسر
من القرآن بعدها لانه كلام الله ووحيه المنزل على رسوله
صلى الله عليه وسلم وهوأشرف الكلام فاختص باشرف
القرب وأدعاها الى تعظيم المعبود وهو القيام ولم يعين منه
شيئاً ليتخير المكلف من ذلك مالاق بصدره وحسن وقعه
فى خاطره ودعاه اليه مايقوم من الخضوع والخشوع بفكره
والصلوات تختلف القراءة فيها بحسب طولها وقصرها
كالصبح والعشاء والظهر والعصر سرا وجهرا

والحكمة فى طول القراءة فى الصبح والجهر فيها
واختصاصها بركعتين أن المصلى لها ينتقل من نوم ليل
طويل وغفلة كبيرة فكانت القراءة طويلة تتكرر على
السمع وتستقر فى الذهن فيترقى فهمه للتلاوة ويكثر
تدبره لما يسمع منها أولا فأولا وحتى يدرك الصلاة من قصدها
من بعد لما سبق من استقرار الناس ليلا فى بيوتهم وانترتفع
الملائكة المتعاقبة إلى السماء بعمل زكى فيه على النفوس
مشقة . وأما الجهر فلأن اللسان قد سكن عند النوم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والفكرة قد اتصلت بما كان عليها مستولياً . ولذلك امر
بالذكر والقراءة عند النوم وقد جالت الروح فى عالم الملكوت
بما غلب . فاقتضت الحكمة أن يخالف بين الفعلين
وخصت هذه الصلاة بالجهر ليكون السر تابعاً للجهر
والجهر شاغلا عن الفكر ناقلا عن السكون إلى الحركة
ولأن الأفعال المحسوسة تدرك . إما بالسمع أو بالبصر
والبصر يتعلق بالنهار والسمع بالليل وهى بصلاة الليل
اشبه لاتصالها بآخره . فاقتضت الحكمة أن يكون
لحكمة تابعة

وأما اختصاصها بركعتين فلأنه لما سبق الوتر لصلاة
الليل وحصل ختم الصلاة به كالطابع عليه وقع البداية
بالشفع وهو مثلا الوتر ليقع الختم بالوتر لصلاة النهار
بالمغرب فجعل الشارع للصلوات الخمس وترين . المغرب
لصلاة النهار والوتر لصلاة الليل فقد خرج النسائى من
حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال « صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَتْرُ صَلَاةِ النَّهَارِ فَأَوْتِرُوا صَلَاةَ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ٱللَّيْلِ » ومن ههنا ذهب أبو حنيفة رضى الله عنه إلى إيجاب الوتر فانه يقول لا يوتر الشيء إلا ما كان من نوعه واجبا قياسا على المغرب والشافعى ومن قال قوله رأى أن المغرب هى وتر صلاة الفرض ولأجل ذلك كانت المغرب متوسطة حتى توتر المجموع وليس من شرط الوترية التأخر بل من شرطها الوجود فى الجملة. والوتر إنما يوتر صلاة الليل النفلية ولأجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام « أَوْتِرُوا يَاأَهْلَ ٱلْقُرْآنِ » وإنما خصهم بالذكر تشريفاً لهم وحضاً لهم على قيام الليل والتلاوة للقرآن فى الليل

وأما الظهر فانها أول صلاة ظهرت فسميت بذلك او لأنها ظهر بفعلها جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم أو لانها تفعل وقت الظهيرة وهى شدة الحر وظهوره فكانت سراً لان النهار يقتضى الحركة والبطش. والنفس فيه متيقظة ساعية فى طلب معاشها. فأمرت أن تصرف بعض ما هى فيه من يقظتها إلى سرها وتعميره بالتلاوة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والتدبر وحصر الحركات على هيئة واحدة فى المناجاة.
واختصت بالحصر بأربع ليتعرف الناظر مراتب الاعداد
من ذلك ويترقى إلى فهمها فان مراتب الاعداد أربع
الآحاد والعشرات والمئين والالوف ومنشؤها من الواحد
والاثنين بناء على أن العدد فى مصطلح الحساب ماهو ولأجل
ذلك أقسم الله بالشفع والوتر فى كتابه العزيز ليتدبر
المعترف بنعمه معنى خطابه فقال «وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ
وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ» فقد جمعت الصلوات الخمس مراتب الأعداد
ليتوفى كل واحد من المراتب حقه وكانت القراءة فيها طويلة
لأنها تقام فى وقت الاشتغال بطلب المعايش والألفة لها
فطولت القراءة فيها حتى يحصل التكفير لما مضى والأسف
على مافات من البطالة والاشتغال بغير ذكر الله تعالى ولأن
المشركين بمكة كانوا يسبون القرآن عند سماعه فكانت
الظهر والعصر سرا حتى لا يسمع المشركون مايتلى فيهما

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والنهار هو مظنة اجتماعهم وقد ورد فى الحديث «صَلَاةُ النَّهَارِ عَجْمَاءُ» (١)

وأما صلاة العصر فكانت القراءة فيها أقل من الظهر لقرب العهد بالصلاة فيما بين الوقتين . واختلف فى سنتها فقيل ليس لها سنة وقيل بل سنتها أربع قبلها ليتنبه فيها من الغفلة السابقة ويحضر فى صلاته

وأما المغرب فكانت ثلاثا والقراءة فيها قصيرة وبعضها سر وبعضها جهر لأنها إما وتر فرض الخمس أو وتر الصلاة النهارية والأولى أنها وتر المجموع من فرض الليل والنهار ولأجل ذلك كانت فى الوسط حتى توتر السابق واللاحق وجمع فيها بين السر والجهر حتى تضرب مع كل منها بنصيب وافتتحت بالجهر شعارا ودلالة على دخول الليل وختمت بالسر ليقع الوتر لما تقدم من فرض النهار بنوعه وأما العشاء فكانت أربعا والقراءة فيها متوسطة ونصفها

(١) قال النووى : باطل لا أصل له . وكذا قال الدارقطنى وانما هو من قول بعض الفقهاء كذا فى تذكرة الموضوعات

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

المتقدم جهراً والآخر سرا لتكون من نوع صلاة النهار الرباعية في الليل ويتميز الاول بالجهر للدلالة على أنها ليلية والسر فيهاتبع والتابع فيها يتأخر عن المتبوع والزمن لليل فكان الجهر أسبق

فان قلت : ما وجه اختصاص الخمس الصلوات بهذه الاوقات . قلت كان مقتضى التعبد بشكر المنعم أن يكون الوقت كله معمورا بالخدمة لله وحده لكنه لما علم ضعف البشرية عن الوفاء بالقيام بحقوق العبودية لواجب الربوبية عين في النهار والليل أوقاتا معينة لعمل معين على مكلف بتكرر الليالى والايام وجعل ذلك العمل يشتمل على أعمال جامعة لقرب متنوعة متعددة . منها متقدمة عليه كالطهارة بالماء في الحدث والنجس واستقبال القبلة . ومنها مندرجة فيها كذكر الله بأنواع من الاذكار في هيئات مختلفة شاملة لأعداد أنواع التعظيم المعلوم في العادات الجارية بين البشر ليتخصص بالتعظيم الذى لا يشاركه فيه غيره . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» لما فى السجود لغير الله من الاخلال
بواجب الأدب مع الله ففرض على العباد بعد الزوال
صلاة الظهر لأن العادة مع بنى آدم جارية بالسعى فيما
يقيم به مصالحها من المعايش المالية كالتجارة . والبدنية
كالصناعة من البناء والنجارة ولأجل ذلك قال عليه الصلاة
والسلام «بُورِكَ لِأُمَّتِى فِى بُكُورِهَا» فلا تزال النفس
لاهية بما هى فيه . حتى يلحقها الضجر والسآمة . فتطلب
راحتها وذلك عند شدة الحر وقيام الظهيرة . فأمرت باستدراك
ما فرط منها بالتوجه والشكر لما أنعم به عليها مولاها
من خلقها فى أحسن تقويم ورزقها ما تستغنى به عن
الاحتياج لغيره من صحة لبدنه فى عمل صناعة أو خدمة
أو مال يتصرف فيه أو سلطان يدبره فكأن لسان الحال
يعبر بأن يقول كما كنت تدأب فى مصالحك لأجل دنياك
فادأب لأجل أخراك واستعد لأداء وظيفة الخدمة وتجديد
العهد باليقظة عن الغفلة فان ذلك وقت الدعة والقيلولة
وطلب النفس الراحة . والحكمة فى الاسرار بها أن النهار

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وقت حركة وتشتت خواطر ولغط وصخب ولذلك ورد فى الحديث «صَلَاةُ النَّهَارِ عَجْمَاءُ» فلو جهر بالقراءة فيها لوقع التبدد فى فكر القارئ والمستمع . فان الصلاة تارة تقع فى موضع خال . وتارة تقام فى مقام أهل الاعتبار بالأغلب لا بالأقل . ويقال إن الصلاة كانت جهرا فى الظهر والعصر بمكة فكان المشركون يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين فلما قدم المدينة أمن منهم فأقرها ليتأسى بذلك من اتبعه فى الاسرار وجعل لهم الجمعة عوضاً عما فات من صلاة النهار الجهرية فى كل أسبوع مرة . وخصصها بشروط تنبيهاً على شرفها ليذكرهم بما ينفعهم . ويبصرهم بما يرفعهم

وإذ آل الكلام بنا إلى هذا المقام فلنذكر الحكمة فى الجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء والخوف وصلاة الجنازة فنقول :

أما صلاة الجمعة فاختصت بالجهر وركعتين لتباين

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ظهر كل يوم فى العدد وفى صفة القراءة ولما كان الخلق
لاستيلاء الغفلة عليهم لا بد لهم من مذكر جعل التذكير
فى كل أسبوع واشترط فى ذلك العدد ليتذكر من حضر
هول المحشر . واجتماع الخلق فيه لفصل القضاء . فكان
ذلك جامعاً لأهل البلدة الواحدة وما قرب منها وكانت
القراءة جهراً لأن القصد بذلك الوعظ فحصل بالخطبة
وسماع القرآن . وتقدمت الخطبة ليتوطأ ذهن المستمع لها
لاستماع كلام الله عز وجل فى الصلاة بخشوع وحضور
قلب . وكان لا يمكن ذلك بمكة لكثرة الأعداء فلما
قدم عليه الصلاة والسلام المدينة أمن فدعاهم وذكرهم
وهداهم وبصرهم . واختصت الاولى بقراءة سورة الجمعة
لمناسبتها إيجاب السعى لها وذم اليهود وتركهم لما تحملوه
من أحكام التوراة وإلزامهم الحجة بتمنى الموت وامتناعهم
عنه وتحريض المسلمين على ترك اللهو والتجارة عند
الأفعال المقربة من الله تعالى . واختصت الثانية بالمنافقين

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لأن الأولى لما ذكرت ما عليه من حيث الجهر بحيث المعاداة[١] تعرض فى الثانية لحال المنافقين و إسرارهم لعداوة الدين فذمهم وحذر منهم . وبين اضطرابهم وعدم ثباتهم فى الدين وصرح بالتحذير منهم لتقع المجانبة لهم فناسب ذلك قراءة السورتين ليحصل التأدب لسامعهما بما اشتملتا عليه وسنة الجمعة كسنة الظهر على ما هو المختار عند الأئمة من أصحاب الشافعى رضى الله عنهم . قلت ولما كانت الجمعة إما بدل الظهر أو صلاة مستقلة كان الأولى أن تكون لها سنة مثل الصلاة التى أقيمت هى فى وقتها جبراً لنقصها وقد ورد فى الحديث « مَنْ كَانَ مُصَلِّيًا بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا » فهذا ما يتعلق بالجمعة

وأما صلاة العيدين فانما تقدمت الصلاة مع حصول التذكير بنداء الصلاة جامعة ليخالف ما سبق من الجمعة ولو تقدمت الخطبة لأشبهت الجمعة فناسب تقديم الصلاة والجهر فيها والتكبير فى أول كل واحدة من الركعتين

---

(١) كذا بالأصل وهو كما ترى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وافتتح بها اليوم ليتفرغ الناس فى باقى النهار لأشغالهم وشرع فيهما قراءة سورة ق واقترب . أما الأولى فلما فيها من ذكر تعجب الكفار من المنذر لهم وهو الرسول عليه الصلاة والسلام بالرجعة والتكذيب بها وبيان النعم المتعددة من خلق السموات والارض وإنزال الماء وإنبات الزرع والأشجار والنخيل لمعايش العباد . ثم الوعظ بمجىء سكرة الموت والنفخ فى الصور بحشر الأجساد للمعاد وأمر الجنة والنار والارث للأرض ومن عليها والاحياء والاماتة والاهلاك لمن تعاطى العزة والجبروت فاشتملت على شكر المنعم والحذر من عقوبته والعلم بعظمته وعزة شأنه وقهره للموجودات وابدائها وإعادتها . وذلك كله مما يقلق النفوس ويخوفها ويزعجها عن الاخلاد إلى حضيض شهواتها وعريض مشتهاتها . وأما فى الثانية فلما فيها من اقتراب الساعة وحال الأمم المكذبة من قوم عاد وثمود وقوم لوط وأمر المجرمين والمتقين من مآلهم إلى العذاب الاليم والنعيم المقيم . وإحصاء الاعمال من صغير وكبير

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فاشتملت على الزجر عن ارتكاب هذه الخلال . والعلم بما
اليه مآل تلك الأحوال . تحذيرا لمن سمعها من المكذبين
أن يناله مانال من سبق من المعذبين . ولما كان القصد
بهما الاجتماع لأهل البلد وماوالاها من القرى المصافية
له والمضافة اليه لأجل تألف القلوب واجتماع الكلمة
تأخرت الخطبة لأن من الناس من له أشغال فيها ضرورات
فاذا قضوا وظيفة الصلاة كانوا بالخيار فى الاستماع والترك
وقد اعتبرنا مقاصد الشرع فى الاجتماع فوجدناها تدور
على قيام الألفة وتمام المحبة فلأجل ذلك شرع الجماعة
فى الصلوات الخمس فى مساجد أهل الحارات كل يوم ثم
فى الجمعة مرة لأهل البلد المحتوى عليه السور وربضه ومن
سمع النداء . ثم فى العيد لمن بعد عن البلد من أهل القرى
ثم فى العام مرة فى مكان مخصوص كالحج لأهل الآفاق
فهذا مايتعلق بالعيدين

وأما صلاة الكسوف فلتعظيم المعبود بادامة الخوف
وإقامة الحذر إذ كان هذا المخلوق الأعظم يطرقه ما أزال

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بهجته ونوره . وحصل له التأثر والتغير فما ظنك بغيره من المخلوقات الضعيفة . وأما اختصاص صلاتها بقيامين وركوعين مخالفة لباقى الصلوات فلأن وقت التجلى غير معلوم فكأنه عليه السلام قد ركع وأطال أولا ثم رفع فعلم بقاء الكسوف فأطال فى القيام الثانى ثم كذلك ولذلك نقل عنه الاختلاف فى عدد ركعاته فى صلاة الكسوف

وأما صلاة الاستسقاء فللتضرع والخضوع للمعبود فى كشف مانزل من الضر أو حصل من الأسر وقد نبه الله على ذلك بقوله «فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا» فهى طلب السقيا بالتذلل والتبذل طمعا فى فضل الله ورحمته .

وأما صلاة الخوف فرفقا بالمكلفين وصيانة لهم عن الوقوع فى الخطر باستعمال الحذر . والتأهب لما يخشى من هجوم الضرر

وأما صلاة الجنازة فشفاعة فى الميت . وثناء على المعبود وتذكرا للموت . وتاهبا لنزوله : وأما تغسيله فتنظيف لما

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

على بدنه من الاوساخ والنجاسات إن كانت حتى تقع الصلاة
على جسد طاهر والشفاعة له فليقدر المصلى عليها فى خاطره
أنه عبد مسرف على نفسه وأنه لابد له من مثل هذا المصرع
برواحه أو بعدانه . وأنه لم يستعد له فليكثر الاسف
والتلهف على مافات من تفريطه وليعتبر بحال هذا الهول
وفظاعته . فيسأل الله تعالى الاعانة على مايتوقع منه . فهذا
وظيفة المصلى على الجنازة . وانما أسقط منها الركوع والسجود
لانها خصصت بالشفاعة إلى الله عز وجل والدعاء للميت
وهو المقصود الأعظم منها ولو وقع فيها ركوع وسجود
لأشبهت مايقصد به التقرب لله وحده من الصلوات ولتوهم
من لا تعقل له أن الفعل للميت المواجه به وقد كان عليه الصلاة
والسلام ينهاهم عن السجود للأحياء فما ظنك بالأموات
فاندفع هذا الوهم . وجعل الشارع فيها وجود القيام محصلا
للمرام من التضرع لخالق الآنام مستجلبا للرحمة منه على
من يخشى عليه من سيء عمله قيام الانتقام

رجعنا الى تخصيص الصلوات بالأوقات الخمس . فاذا

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

قضى وظيفة الظهر اشتغل بنوم أو راحة أو بما يبقى له من
المصالح وتلك غفلة متجددة الى وقت العصر فأمر بفعل
العصر تكفيرا لتلك الغفلة وهو مثل نصف مابين الصبح
والظهر تقريبا لقلة الشغل فيه بالنسبة الى الوقت الأول
ثم أقبل الاشتغال بمصالحه فعاد الى الغفلة إلى الغروب
فكان الوقت مثل مابين الظهر والعصر تقريبا فأمر
بتجديد العهد للخدمة بفعل صلاة المغرب . ثم الاشتغال
بعدها فى جارى العادة . إما بالحديث وإما بالعشاء وإما
بالاحياء بالصلاة وإنما يقع ذلك من آحاد الناس وجعل
فيها كنصف مابين الظهر والعصر تقريبا لاستيلاء النوم على
الخلق لكثرة اشتغالهم فى نهارهم بمعايشهم فأقيمت صلاة
العشاء إيقاظا للغافلين وإذكاراً للناسين . وكان وقت الاختيار
ممتدا الى ثلث الليل وذلك بمثابة مابين العصر والمغرب تقريبا
شفقة على الخلق وتوسعة على أرباب الأشغال والاعذار
ورحمة بهم وحنانا عليهم . وامتد وقت الجواز الى طلوع
الفجر الثانى وهو بمثابة مابين وقت الصبح والظهر تقريبا

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فقد تعرض الاشغال فى بعض الاحوال لأقوام فطولت
المدة رفقا بمن يحتاج لذلك . ثم يدخل وقت الصبح والنوم
قد كحل بأثمده الأجفان . والغفلة قد انتشر عملها فملأ الأكوان
فامر بالصلاة فى تلك الحال لتفارق ما ألفته النفس واستلذت
طعمه بفعل تلك الصلاة . وكانت جهرية لأن سلطان
الليل باق مالم تطلع الشمس . وطولت القراءة فيها لوجهين
أحدهما أن النفس أول شروعها فيها ليست بناشطة فى
العمل لقربها من الغفلة والكسل فاذا طالت القراءة
انتقلت عن ذلك بترتيب وتدريج وزيادة حضور . وثانيهما
رفقا بالمصلين حتى يدركوا فان هذه الصلاة تفعل فى وقت
نوم ولأجل ذلك خصت بجواز تقديم الاذان على الوقت
ليتاهب الناس لها والناس تختلف مراتبهم فى السرعة الى
الاجابة والابطاء فمن تأخر عن التأهب قبل فعلها أدرك
عند تطويلها . ووقع الاقتصاد على ركعتين لأنها ختام
صلاة ليل ومفتتح صلاة نهار فكان لها تعلق بالطرفين
فضربت بنصيب من الزمنين . وغلب حكم الليل فيها لأن

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

أثره باق من النجوم و الظلمة و القمر . وسلطانه قائم ظاهر الأثر . بخلاف سلطان النهار فانه للشمس وهى مستترة خافية فكان الأظهر فى الحكم أقوى وليقع الجمع بين الشفع من الصلاة و الوتر فى مفتتح الليل ومفتتح النهار بالصبح و المغرب . وقدم الوتر لان الليل تابع النهار ولان الوتر أصل الاعداد ومنه تركيبها . وخصت بالقنوت إما لانها الصلاة الوسطى على ما هو مذهب الشافعى ومالك رضى الله عنهما فجعل ذلك علماً عليها . وأما لانها مفتتح صلاة اليوم وما بعدها فى حكم التبعية لها فتميزت بالدعاء لاجل السبق حتى يشمل بركة الدعاء العمل الذى يأتى بعدها فى ذلك اليوم فيرزق ما سأله فى صبيحة يومه من الهداية والولاية والبركة إلى غير ذلك . وأما لشهود الملائكة لها وتعاقبهم فيها وارتفاعهم بأعمال العباد فترفع تلك الصلاة بعمل زائد كما قال تعالى « وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا » والعصر وان كانت

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

شاركت فى التعاقب إلا أن هذه فاقت بالسبق فى الأولية
فكانت لها على غيرها المزية . والمعنى بالسبق وجودها
فى أول اليوم ولا نعنى أنها أول الصلوات عند الفرض فعلا
ولا يلزمنا على هذا أن تكون العصر هى الوسطى لانا
قد اعترفنا بالسبقية للصبح لانا لانعتبر الوسطى من حيث
ابتداء الزمن وانتهاؤه . وإنما نعتبرها من حيث الكمال
والشرف من زيادة المشقة وكثرة الكلفة ومجانية
ما استولى من الغفلة . والصبح أزيد مشقة وأعظم كلفة
ولا سيما فى زمن البرد وشدته . وغلبة النوم فى قصر الليل
وطيب هجعته عند سحريته . ولا كذلك العصر فانها
تاتى والناس فى يقظة . وضرر الحر والبرد قد انكسر . وأما
قوله عليه الصلاة والسلام «شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى
صَلَاةِ الْعَصْرِ» فيحتمل أنه سماها وسطى بالنسبة لما قد
فاته لأنه نقل أنه فاته ثلاث صلوات أولاهن الظهر فالعصر
وسطى لفوائته . لا أنها وسطى للصلوات الخمس . ومن روى
من الناقلين أن الفوائت فى الخندق أربع صلوات فهو من باب

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

التجوز فان العشاء مافات وقتها لانه يمتد إلى طلوع الفجر بخلاف ما قبلها فتخصصت الصبح بما قدمناه فكانت الوسطى ولما وجد الامر بالقنوت ذكر الصلاة الوسطى وهو إما طول قيام أو السكون عن الحركة أو السكون عن الكلام أو إطالة الدعاء إلى غير ذلك مما نقل فى القنوت احتمل أن يتعلق بالصلاة الوسطى والتقدير قوموا قانتين فى الوسطى . فان قيل هى لاتعلم فكيف يؤمر بالقنوت فيها قلنا من قام له دليل على أن الصلاة وسطى كان المخاطب بذلك وحمل بعض أئمتنا الآية على القنوت فى الصبح ولا دلالة فيها عليه ويحتمل أنه كلام مستقل لاتعلق له بالوسطى وانما يتعلق بالصلوات التى تقام وهذا هو الأظهر . والمراد بالقنوت الطاعة كما قال تعالى « كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ » وقد يطلق القنوت على الخشوع من حيث أنه لازم للطاعة فيكون المعنى وقوموا لله خاشعين كما قال تعالى « الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ » وله وجه ظاهر فان الصلاة الخشوع فيها مطلوب ومهما حصل الخشوع وجد السكون عن الحركة والسكون عن

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الكلام وإطالة الدعاء والقيام كما قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام «لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُ»

قلت وإذا وقع التعرض لذكر الصلاة الوسطى فلنذكر الخلاف فيها مختصرا . فنقول : قال قوم إنها صلاة من الصلوات الخمس مبهمة . وقال قوم بتعيين صلاة من الخمس أنها الوسطى للخمس . وقال قوم الجمعة واختاره بعض المحققين العارفين . ولعله هو المذهب المترجح لمن رزق البصيرة فى فهم المعانى فانها تخصصت بمعان زائدة على باق الخمس . وفيها أقوال غير ذلك أضربنا عن ذكرها وظاهر الأحاديث يقتضى أنها العصر وهو اختيار بعض الشافعية ونقل عن على رضى الله عنه وغيره . والصواب أن يقال إن الصلاة الوسطى مبهمة معلومة لله مجهولة للمكلف حتى يحافظ على مسمى الصلاة من الخمس وغيرها والابهام ثمرة تجتنى من حيث إن المحافظة تقع على ما يدخل تحت اسم الصلاة فيصادف المكلف الوسطى منها فيظفر بالمقصود من الامتثال كما أبهمت ساعة الجمعة وليلة القدر

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ولا يعترض علينا بالخلاف الواقع فيهما لامتناع التعيين فيهما عند القائل بخلافه فيقع التنازع فيقع بالابهام التعيين وبما ذكرناه تم النوع الأول من القيام

النوع الثانى الركوع . لما ابتدأ بالتعظيم بالقيام انتقل إلى ما هو أبلغ منه وهو الركوع طمعا فى القرب من المعبود وتحصيل الرضا منه عن المتعبد بزيادة الذل والخضوع . وتخصص من الذكر فيه بقوله « سُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ » لأنه لما أثنى على الله عز وجل فى القيام بالكمال وسؤال الهداية زاد لما انتقل إلى خضوع أتم فعلا بالركوع وقولا بالتنزيه له عن النقائص والاعتراف بالعظمة له فى تلك الحال من الذلة والخضوع . وبقوله « اللّٰهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ » أى خضعت « وَلَكَ أَسْلَمْتُ » أى انقدت لأمرك ونهيك وقضائك « وَبِكَ آمَنْتُ » أى صدقت « أَنْتَ رَبِّى » أى سيدى المربى لى بنعمه « خَشَعَ سَمْعِى » أى أطاع وسكن « وَبَصَرِى » كذلك « وَعِظَامِى وَشَعَرِى وَبَشَرِى وَمَا اسْتَقَلَّ بِهِ قَدَمِى لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والمراد انقياد جملته وتفصيله لعظمة الله وجلاله ثم يرفع رأسه قائلا « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ » لأنه قدسبق منه الافتتاح بالحمد فى أول صلاته ثم فى كل ركعة فيكون هذا جواباً لما سبق والمعنى الله تعالى يستجيب حمد حامده وله الحمد استحقاقا لجلالته واستغراقا لضروبه وان تعددت محالها . ثم وصفه بقوله « حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ » فالكثير السالم عن القلة والطيب عن الخبيث وهو المردود بالغفلة والسهو على فاعله والمبارك هو الزائد الثابت خيره ونموه . ثم قال « أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ » أى إنك أهل أن يثنى عليك لوجود صفة الكمال الثابتة لك « حَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ » أى ثابت مستقر ما وصفتك به من وجود الكمال وعدم النقص لك فلا يتحول ولا يتبدل « كُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ » الضمير يعود إلى من يعقل فيحتمل أن يعود إلى العبد المصلى وتكون الألف واللام للعهد أى القائل من المصلين للحمد هو صادق فيه . ويجوز أن تكون

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

للاستغراق والمعنى ثابت ما قال العبد المطلق عليه اسم العبودية من الحمد ويعود الضمير إلى كل حامد مصليا كان وغير مصل فانها كلمة صدق كما قال تعالى « إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِ الرَّحْمَنِ عَبْدًا » أى خاضعا ذليلا وأصل التعبد التذلل ومنه قولهم بعير معبد أى مذلل بالركوب والمهنة . والعبد ضد الحر لاستيلاء سلطان الملك عليه بالمنع من التصرف فى نفسه أين أراد فهو ذليل بذلك ثم أثنى على الله بكمال قدرته فى عمومها ونفوذ إرادته فى خصوصها بايجاد بعض المقدورات بقوله « لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ » أى لا يقدر أحد على المنع لسبق ما وقع من الهداية بالايمان الذى الصلاة من ثمرته ونتيجته فكأنه قال لا مانع لما مننت به من إعطاء الهدى والايمان أو من الايجاد بعد العدم أو من الأرزاق عند الحاجة اليها « وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ » من التوفيق أو من الأرزاق . ثم قال « وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ » المراد به سلب المنفعة عنه تحقيقاً

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لعجزه أى لا قدرة نافعة مؤثرة لمن له جد فى هذه الدار على جلب محبوب أو دفع مكروه لا عن نفسه ولا عن غيره « مِنْكَ الْجَدُّ » منك الحظ والعظمة والشرف والرفعة النافعة للعبد ان أنلت ذلك له حالا ومآلا . وفى هذا دفع للخيال المتوهم فى الأنفس من ربط الأحكام بالأسباب وإنما ذلك معهود لمن هو كثيف الحجاب. مأسور فى قيد غفلته عن قرع الباب . ومن كان واقفاً مع عوائد نفسه . لم تشرق عليه من مولاه أنوار قدسه . وأخلق بمن صدق فى توجهه إلى الله أن يخرق له العوائد . ويجزل لديه الفوائد وبه تم النوع الثانى من الركوع

النوع الثالث السجود . لما كانت مراتب التعظيم ثلاثة الابتداء والوسط والنهاية مضى اثنان منهما وهما القيام والركوع وبقى الثالث وهو السجود فانتقل اليه بعد القيام من الركوع ليخر لله على وجهه من قيام كما قال تعالى «وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا» وهذا من نهاية المبالغة فى التعظيم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وعلامة الزيادة فى شكر المنعم إذ أهله لأن أقامه فى الخدمة وفضله بأن شمله برحمته وكانت العجم تعتمد الركوع والسجود فى خدمتها لملوكها ورؤسائها لأنه أبلغ فى الذل وأدعى الى انقياد النفس لأن الوجه أشرف شىء فى الجسد وكانت العرب لماجبلت عليه أنفسها من الاباء تأنف من ذلك وتشمخ بآنافها عنه ولاترضى لأنفسها بذلك فانه عندها خطة خسف ولذلك ورد فى الحديث «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» وصح فى الحديث «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» وذلك لأن العزيز بقدر التذلل له بالمطاوعة والانقياد لأوامره والمسارعة الى محابه والتعبد له بتعظيم جنابه يقع نيل القرب منه بقرع بابه ويقول «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» لانه لما تلبس بفعل غاية الخضوع والخشوع من تعفير وجهه والصاق أشرف مافيه بما كان يطؤه برجله من التراب . قابل ماهو عليه من الذل والانحطاط بالثناء على

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الله بالعلو الذى يستحقه لذاته وأتى بلفظة أفعل المقتضية للمبالغة أى أعلا من كل عال يعتقد فيه شيئاً من العلو وكل علو سوى علوه فانه وهم ومن علوه يستفاد كل علو ثم يرفع رأسه جالسا ويذكر ماتقدم ذكره من الدعاء وقد صح فى الحديث أنه يقول رب اغفر لى ثلاثا وهو قول الامام أحمد وأوجبه للحديث. والحكمة فيه أنه لما أثنى على الله بالعلو وعلم ماعليه نفسه من العجز والمخالفه سأل المغفرة لما قارفه. ثم يسجد ثانيا على ما تقدم وقوله فى السجود «سَجَدَ وَجْهِىَ لِلَّذِى خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ» لما كان الوجه أشرف شىء فى الجسد من الأعضاء لاشتماله على النطق وأنواع الادراكات وأسباب الحياة من النفس وتناول الغذاء حسن مدح خالقه بما خصه به من ضروب الكمال وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله الحق «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» وقوله تعالى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

«الَّذى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ» وقوله «هُوَ الَّذى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ» وقوله «تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» فالخلق هو تقدير الشيء على هيئة خاصة والبركة الزيادة فالمعنى زادت عظمة الخالق لصورة الانسان فانها اشتملت من المعانى الجميلة على مالم يجتمع فى شيء من الحيوانات وجعله أحسن الخالقين يعنى بالنسبة إلى ما قام فى الأذهان من الأوهام أن ثم خالق حقيقة وليس كما زعمت بل لا خالق على الحقيقة سواه وان خلق سواه شيئاً من صور الحيوان فانه يحكى ما رأى لاحقيقة لخلقه ولأجل ذلك قال «وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ» أى خلق فيهما إدراكا ولا قادر على خلقه سواه فكان أحسن الخالقين من حيث خلق الادراك فى تصوير وسواه وإن صور محاكياً لصوره فلا قدرة له على خلق الادراك وليس فيه إدراك فأشبه الجماد. فقد جمعت الركعة بين قيامين وسجودين وقعودين عند من يرى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

جلسة الاستراحة وهو قول جمع من العلماء وأظهر قولى الشافعى لحديث مالك بن الحويرث ليحصل التعبد من أنواع الحركات العادية فى طاعة الله عز وجل بمبادى الخضوع وهو القيام وأوسطه وهو الركوع ونهايته وهو السجود وذلك غاية المرام فى تعظيم مولى الأنام . ويقابل القيام الأول الطويل بأقصر منه فى القيام الثانى بعد الرفع من الركوع لأن الأول مراد لنفسه والثانى مراد للانتقال من القيام الى السجود . وقابل الركوع سجودين لتمكن الساجد وتزلزل الراكع ولكونه أبلغ فى التعظيم والقرب فيكرر دونه . فاذا جلس بين السجدتين قابل ذلك الجلوس التشهد عند من لا يرى جلسة الاستراحة كالقيام المقابل للقيام . وطال الجلوس فى التشهد لما تخصص به تعيين الكلمات وعند من يراها قابل الجلوس فى التشهد جلسة الاستراحة وطالت جلسة التشهد لأنها آخر الصلاة كما طال القيام الأول لأنه أول الصلاة

فائدة مصلحة عائدة . ينبغى للمصلى أن يلاحظ من

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الفكرة فى تلاوته ما يشهد لقلبه بوجود مخافته وفى ركوعه ما يشهد بخضوعه وإنابته وفى سجوده ما يشهد نفسه عليه من غاية الحقارة والذلة والفقر والمسكنة فى تلك الحالة حتى يقمعها بذلك عما تسمو اليه من الكبر والعظمة واعتقاد الاستغناء عن امداد الله بفضله وإحسانه ويشهد لله عز وجل بما عليه من العلاء والاستغناء عن خلقه بعظمة شأنه وعزة سلطانه

النوع الرابع الجلوس للتشهد . لما وقع الافتتاح للصلاة بالقيام والثناء والسؤال قابل ذلك الافتتاح الجلوس فى انقضائها بالتشهد المشتمل على ثناء وسؤال لنفسه وللرسول وللمؤمنين فجلسة التشهد حالة استئناس لأنها تقع بعد اداء وظيفة كل الخدمه أو بعضها كما فى الجلسة الوسطى بعد الاتيان بأنواع من هيئات الخدمة مختلفة قوله «التحيات» استحب بعض الشافعية أن يفتتح بقوله بسم الله لحديث ورد فيه عن جابر رضى الله عنه وكما افتتح القيام بذلك عند من يرى البسملة فكذلك يفتتح بها فى الجلوس جمع

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

واحده تحية وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن
مسعود أن معناه العظمة لله وقيل البقاء وقيل الملك
وأنشدوا الزهير « من كل مانال الفتى قد نلته ☆ الاالتحية »
وقيل تحيات الخلق أى سلام بعضهم على بعض كما فى قوله
تعالى «وإذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ» و كما فى قوله تعالى «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ
يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ» أى يقول ذلك بعضهم لبعض أى سلمتم من
العذاب وفزتم بالثواب أو تحيتهم من الله سلام منه عليهم
كما قال تعالى «سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ» . فمن قال العظمة
فمعناه أن أنواع التحيات المرادات لتعظيم المحى بها وان
تعددت أنواعها فانها كلها لله تعالى وتكون الألف واللام
للاستغراق المستوعب لأنواع العظمة وجهاتها وأسبابها
ووجوهها . وكذلك البقاء أى كل بقاء وان تنوع فأجمعه
لله عز وجل إما من حيث أنه ملكه يتصرف فيه ويهب منه
ماشاء لمن شاء . وإما من حيث البقاء السرمدى له لا لأحد
سواه يشاركه فيه . وكذلك الملك أى الملك الذى لا يزول

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ولا يحول ولا ينتقل إنما هو الله الواحد القديم . وقوله «الْمُبَارَكَاتُ» جمع بركة وهى الزيادة فى الخير مع الثبات والاستقرار ومنه قوله «تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ» أى زاد خيره على خلقه وثبت وقوله «الصَّلَوَاتُ» جمع صلاة أى جملة الصلوات المشروعة فرضها ونفلها وقيل الخمس لأن أصل المشروعية فيها . قلت ويحتمل أن يكون المراد بها صلوات أجناس الخلائق من الملائكة والجن والانس كما قال تعالى «وَلَهُ مَنْ فِى السَّمواتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ» لما فى ذلك من كمال التعظيم للمعبود واللفظ عام فحمله عليه أولى لما فيه من زيادة الفائدة وإنما أضاف الصلاة اليه لاشتمالها على أعمال القلوب بالنيات وعلى أعمال الألسن بما عين فيها من الكلمات وعلى أعمال الاعضاء بما نوع فيها من الحركات وقوله «الطَّيِّبَاتُ» جمع طيبة وهى كل كلمة حسنة قال الله تعالى «وَمَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ» والطيب وان

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

اطلق حقيقة على ماله طعم يذوقه اللسان فانه يطلق على
ما يسمع من كلام المحبوب الحسن كما يطلق الذوق
على الخوف والجوع كما فى قوله تعالى « فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ
الْجُوعِ وَالْخَوْفِ » ولا لباس ولا ذوق وانما المراد
الاستعارة لوقوع العذاب بهم ومنازلته لهم عموما
كما يعم اللباس الجسد ووجود ألمه كما يجد الذائق طعم المر
فى فمه وهذا من باب المجاز البديع والمعنى كل كلام
طيب استوعب ثناء ومدحا وتعظيما فان الله هو
المستحق له دون غيره إذ يطلق عليه حقيقة وعلى غيره
مجازا وقد قال الله تعالى (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) يعنى
من الثناء عليه والتوحيد له والتعظيم لجلاله وقد يحتمل
أن يراد بالطيبات الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر . وسميت طيبات لأن من تدنس
بالعثرات والزلات إذا قالها طاب قلبه من سورة الحسرات
وأمن من المؤاخذة بالتبعات . والحمل على العموم لها ولكل

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ماعمل عملها أولى فمعنى الجملة أن ماسبق ذكره من تعداد
الاوصاف الجميلة جميع ذلك مضاف الى الله إضافة ملك
واستحقاق ثابت له دواما واستمرارا ليس له فيه منازع
ولا عنه مدافع فلأجل الاهتمام بشأنه فى الجلوس وقع
الافتتاح بذلك كما وقع افتتاح القيام بالفاتحة . فلما تم الثناء
على الله ثنى بعده بذكر رسوله صلى الله علبه وسلم فقال
« السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ » كما قرن
ذكره فى الأذان والاقامة ليجزل حظنا من تكرار اسمه
فى أسماعنا لنحضره فى أذهاننا ويكون بالنا معمورا به
فى حركاتنا وسكناتنا فالسلام اسم من أسماء الله تعالى لأنه
يسلم من أوجده وخلقه من الآفات والعوارض أو لأنه
سلمه من الجهل به واستمرار العدم وحباه فى تركيبه
فى أحسن تقويم فحماه من الاكباب على الوجه أو المشى
على البطن أو لأنه يسلمه فى الدنيا من المخالفات وفى
الأخرى من العقوبات فكأنه قال السلام يحوطك ويكفيك
واما أن يكون من السلامة فهو مصدر سلم يسلم سلاما

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

او جمع سلامة كملامة وملام كأنه قال السلامة مصاحبة لك وقوله «أَيُّهَا النَّبِيُّ» إشارة الى حاضر موجود موصوف بهذه الصفة حياة وموتا وقوله «وَرَحْمَةُ اللهِ» الرحمة هى تأهيل العبد للانعام عليه أو معاملته بالرفق كما يعامل المرحوم والبركة الزيادة من النعم الثابتة فلما ثنى بذكره ثلث بالمصلى فى قوله «السَّلَامُ عَلَيْنَا» فيحتمل أن يكون الضمير للمصلى وحده «وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ» لجميع المؤمنين من الملائكة والجن والانس أجمعين لقوله عليه الصلاة والسلام «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ» وأمته هم عياله فى الهداية الى الله تعالى فبدأ بالسلام على نفسه خصوصا ثم عموما على أمته من المصلين الحاضرين ويندرج معهم لأنه من جملة الحاضرين فيتوفر نصيبه ونصيب أمته بمشاركته لهم ثم على جميع الصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين . ومثال البداءة بالنفس قول إبراهيم صلوات الله

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

عليه وسلامه «رَبِّ اُغْفِرْلِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» وقول نوح صلوات الله عليه وسلامه «رَبِّ اُغْفِرْلِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» فبدأ بالأهم فالأهم من نفسه ثم أبويه ثم من عرفه وآمن به ثم بسائر المؤمنين ويحتمل أن يعود الى نفسه وصحابته وجميع أمته لأن غيره صلى الله عليه وسلم فى الموقف يقول نَفْسِى نَفْسِى وهو عليه الصلاة والسلام يقول «أُمَّتِى أُمَّتِى» فاللائق باعتنائه بأمر أمته أن لا يفرد نفسه عنهم وهو وان كان قد تميز عنهم بما سبق من الرحمة والبركة فان لأمته منه الشرف الأوفر فان التابع يشرف بشرف المتبوع فيختص الرسول صلى الله عليه وسلم بالأول وهو وأمته بقوله «عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اُللهِ الصَّالِحِينَ» ويحتمل أن يعود للحاضرين معه ولمن لحق بهم من الأمة المتبعين لهم وله دونه ويتخصص المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بالأول وأمته بالثانى ومن سواهم بالثالث. وقد صح من حديث شقيق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال «كُنَّا إذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا السَّلَامُ عَلَى اللهِ قَبْلَ عِبَادِهِ السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ يَعْنُونَ المَلَائِكَةَ فَسَمِعَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ انَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ فَاذَا جَلَسْتُمْ فَقُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ فَانَّهُ اذَا قَالَ ذٰلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». قلت وتخصيص الأول به والثانى بالحاضرين والتابعين لهم وعباد الله الصالحين بمن فى السموات والأرض أولى لوجوه. أحدها أنه صرح بذكر نفسه فلا ضرورة تدعو الى إضماره. وثانيها أنه قرن اسمه بذكر الرحمة والبركة دون الثانى فكان أكمل وأتم لأجل الزيادة . وثالثها لأن أمته تندرج من جملة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الصالحين وتتخصص بالاضافة اليه وهو أولى من أن يندرج اسمها مع غيره وسؤال إبراهيم ونوح عليهما السلام شاهد لما ذكرناه. فلما تم ماقصد من الثناء على الله عز وجل بالصفات الحميدة وملكه لها وثنى بالرسول وثلث بالصالحين أمر بتجديد عقد توحيده لمعبوده وتعظيمه لرسوله بالاقرار بنبوته صلى الله عليه وسلم حتى يكمل عقد إيمانه فقال «أَشْهَدُ أَنْ لَاإِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ» ويشير بالمسبحة عند همزة لا إله نفياً وعند إلا الله إثباتاً ليجتمع النطق باللسان والفعل باليد جمعاً بين الظاهر والباطن . وخصت المسبحة لقوة عصبها وخفة حركتها ولانفرادها عن باقى الأصابع بالتوسط والانفصال عن الابهام والوسطى ولأنها كانت تستعمل فى السباب فنقلت عن تلك العادة الذميمة وبدلت بما فيه توحيد الله وتنزيهه عن النقائص لتكون تلك الحركة كفارة لما وقع من تلك الحركات المخالفة فى بعض الأحايين والأوقات فاعترف بان لا إله

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

يستحق العبادة سواه ونفى كل شريك معه وأقر بنبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته فانها دعامة إسلامه . ثم صلى على النبى وآله . وقد تقدم الكلام فى معنى الصلاة عليه وما تتضمن فأغنى عن الأعادة وبذلك تم المطلب الثانى

المطلب الثالث

فى تدبر كلمات الفاتحة عند قراءتها فى الركعات وما تضمنت
من المعانى المعينة على انتظام السعود ودوام البركات

اعلموا أن من رزقه الله فهما يتصور به ما اشتملت عليه الفاتحة من المعانى فانه يجد فيها ما يشهد به وفاؤها لما تضمنه كثير من مقصود الكتاب العزيز من اسمائه الحسنى وصفاته العلى والوفاء بالمجد والثناء وملكه ليوم الجزاء وفصل الحساب والقضاء والافراد بالعبادة وسؤال الاعانة على الأفعال وطلب الهداية عن الضلال وبيان شرف المنعم عليهم عند ذى القدرة والجلال وهذه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

هى اصول التوحيد المقصود الانقياد اليها بالبعثة
والارسال وهى الاقرار بالله وبالرسل عليهم الصلاة
والسلام واليوم الآخر وعليها مدار التوحيد وبها ينتفى
وجود التشكيك فيه والترديد ويتبرج من تعلمها وقام
بفهمها عن التقليد . فان قلت لم يجر للاقرار بالنبوة فى
الفاتحة ذكر . قلت تلاوتها اعتراف بصحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» يتضمن الرسل صلوات
الله وسلامه عليهم وجميع المنعم عليهم فقد وقع الاعتراف
بها فيها ضمناً . فلما كانت بهذه المثابة من الصفات كانت
متكررة فى ركعات جميع الصلوات وكان تركها مخلا
بالصحة عند جمع من العلماء الأثبات . وبه قال الشافعى
رضى الله عنه ومالك والامام أحمد وأكثر الأئمة رضى الله
عنهم فمن وفقه الله لفهم معانى ما اشتملت عليه من
الكلمات كان ذلك به من جملة الغايات وأتم الرعايات
ولما كانت الصلاة مناجاة لمولاه وتجديد عهد منه بخدمته
ومراسلة بينه وبينه باستعطاف على عبد شارد عن

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

باب سيد عالم بحاله فأذن عليه فحسن مع إساءته إليه[١] حسن الابتداء فى هذه الحالة بالبسملة قبل الحمدلة لما فيها من الابتداء باسمه العلى والثناء عليه بصفة الرحمة قبل ذكر شكر النعمة فان الحمد ثناء على الله بما أظهر من أثر نعمه فى الوجود ولأجل ذلك أوجبها الشافعى وعدها آية من الفاتحة واستحبها قوم وكرهها آخرون ولكل حجة من السنة يعتمدها . ومن رأى التسمية تأسى بنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام فى ابتداء كتابه بها إلى بلقيس فانه لما دعاها إلى الله تعالى افتتح باسمه وكذلك العبد يدعو نفسه إلى إجلال الله وتعظيمه والتزام مارسمه له على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لينقاد ويجيب ويذعن وينيب بذكر الله الرقيب القريب . وأحق من يقع التأسى به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام «وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا» والسنة أن يفتتح أول صلاته بالتعوذ قبل البسملة لقوله تعالى «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

(١) كذا بالأصل وهو كما ترى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ» ولأنه يتذكر بها كيد الشيطان فيحترز منه
فى صلاته ويلجأ إلى الله فى دفعه عنه وحمايته منه فانه
بالمرصاد له فقوله «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» معناه أبدأ
أو ابتدىء بها أو بسم الله أبتدىء أو أبدأ إذ كان اسم الله
مفتاح كل مهم من الأمور ولا شىء أهم من الوقوف للخدمة
بالباب فالصلاة هى الباب المدخول للمناجاة والمباهاة
فالواجب الابتداء بذكر اسم الله المخدوم . ثم وصفه
بالرحمانية والرحيمية وهما صفتا فعل ناشئتان عن صفة
الجلال والجمال لاعدام الموجودات وإيجاد المخترعات
وإعادة المعدومات وإبداء المخفيات فناسب ذكرهما ليظهر
أثرهما فى الوجود بنوعى القهر بالاعدام بصفة الرحمانية
واللطف بالايجاد بصفة الرحيمية . فليلاحظ فى البسملة
معنى عظمة الله وجلاله وقهره ولطفه بالاعدام والايجاد
ولما افتتح باسمه العظيم أثنى على الله الكريم بما يستحق
من حمده على خلقه لما شملهم به من نعمه فقال «الْحَمْدُ لِلّٰهِ»

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والألف و اللام إما للاستغراق للحمد أى الحمد كله وإن
تنوعت ضروبه فهو لله تعالى لاشىء منه يخرج عنه لأن
أسباب الحمد منه منشؤها وعليه مدارها أو للعهد أى الحمد
لمعهود منكم و الجارى على ألسنتكم شكرا للنعم المتجددة كله
لله فلامشارك له فى شىء منه . ولما ذكر استحقاقه للحمد
أثنى على عظمته بقوله « رَبِّ الْعَالَمِينَ » أى مربيهم بنعمه وقد
تقدم الكلام عليها فى التوجه فليلاحظ فى ذلك استحقاقه
للثناء بالحمد إذ شمل خلقه بنعمه ورباهم بها ويلاحظ
فى قوله « الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » المبالغة فيما أنعم به عليهم من الرحمانية
والرحيمية فى الدارين وهما للمبالغة كندمان ونديم فقيل هما
سواء وقيل فعلان أبلغ من فعيل وليس ذلك بتكرار لما سبق
فى البسملة لأن هذا بيان لرحمته تعالى للعالمين فهو متعلق بهم
ومخصوص بنوعهم . فلما أثنى عليه بهذه الصفات وصفه
بقوله «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» أى من استوعب هذه الصفات من
معانى الكمال كان له الملك التام وذلك بالتصرف فى الخلق

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والقهر لهم فى يوم الدين أى الجزاء للخلائق . ونصب موازين
العدل والفضل لفصل القضاء وكف البوائق . فلما ذكر
مايليق بالمعبود من الكمال للملك ونفوذ التصرف بالملك فى
الدارين بكونه مالكا للعالمين فى الدنيا فاصلا بينهم فى الاخرى
أمر العباد بالاعتراف لمن هذه صفته بقوله «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»
أى نطيع بالتوحيد وسؤال الاعانة على العبادة والقيام
بوظائفها وعلى الثبات عليها بقوله «وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فليلاحظ
فيها صفة الاختصاص بأن لا قادر على أن يقبل ذلك
المسؤول إلا الاله الذى له الفضل الموصول . فلما سأل منه
العناية بالاعانة . سأل الهداية الى طريق العبادة بقوله « اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » أى بين لنا ودلنا وارشدنا إلى الطريق
الواضح . السالم عن الانحراف والميل الفاضح . فليلاحظ
فى الهدى معنى الارشاد والامداد له بارسال نور المعرفة
إلى مظلم قلبه . وخلقها فيه وفى قلوب المهتدين حتى يتحقق
ويتخلق به قالبه وقلبه . وفى الصراط تمام التوحيد وقيام

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

شعار الاسلام ظاهرا فى جوارحه وباطنا فى قلبه فبه يكون مستقيما أى آخذا فى خط الاستواء لا اعوجاج فيه. ثم بين حال الصراط بقوله «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» أى أعطيتهم ابتداء من غير سؤال ونسأل ما أوقعت فى قلوبهم من التوفيق والهداية والقبول لما قدموا به عند القدوم عليك من الاعمال. وأوفوا به من صالح الاحوال. وهؤلاء هم المنعم عليهم بحميد الخلال. المذكورون فى قوله تعالى «فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا» أى وفقنا لان نسلك طريقهم حتى ندرك فريقهم فليحضر أحوال هؤلاء المنعم عليهم بقلبه ويسأل الله أن يلحقه بدرجتهم ثم نفى عن المنعم عليهم ذميمتين بقوله «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» أى غير من أسخطك بمخالفتك فغضبت عليه وأبعدته عن رحمتك «وَلَا الضَّالِّينَ» أى غير الذاهبين عن طريق الصواب والاستقامة على سبيل الهدى فكانوا فى الحيرة يخبطون

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وفى الفكرة يعمهون . فلاالى الصواب يهتدون ولا عن
الخطأ يقصرون . فليلاحظ معنى نعمة الله بالهداية
الى سبيل الرشاد والوقاية له عن الفساد المبعد عن السداد
واختلف فى المعنى بذلك فقيل أراد بالمغضوب عليهم اليهود
وبالضالين النصارى وغيرهم الضلال المبتدعة . قلت وحمله
على ماقدمناه من عموم المخالفة أولى لأنها أكثر فائدة لأن الغضب
من الحق المراد به استحقاق العذاب والضلال هو الذهاب
عن الصواب فكل مخالف متعرض للعقوبة ضال عن سبيل
الاستقامة غير أن الكفار والمبتدعة مخالفتهما أعظم وكذا
عصاة المسلمين مراتبهم متفاوتة فى المخالفة والله أعلم .
وقد صح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى قَسَمْتُ
الصَّلَاةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِى وَنِصْفُهَا لِعَبْدِى
وَلِعَبْدِى مَاسَأَلَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْرَؤُا
يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ اللّٰهُ حَمِدَنِى عَبْدِى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وَيَقُولُ الْعَبْدُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يَقُولُ اللهُ أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى وَيَقُولُ الْعَبْدُ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَجَّدَنِى عَبْدِى وَيَقُولُ الْعَبْدُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فَهَذِهِ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى وَلِعَبْدِى مَاسَأَلَ يَقُولُ الْعَبْدُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَاسَأَلَ(١) » فقد وضح من هذا الحديث فضل الصلاة وشرفها وأنها مشتملة على الأنواع المطلوبة من العبادات الجارية على المكلفين من عبادة الألسن بالقراءة والذكر والجوارح بالحركة فى الانتقالات والسكون بعدها فى الهيآت والقلوب بالحضور فيها

---

(١) قال النووى : قال العلماء المراد بالصلاة هنا الفاتحة سميت بذلك لأنها لاتصح الا بها كقوله صلى الله عليه وسلم «الحج عرفة» ففيه دليل على وجوبها بعينها فى الصلاة قال العلماء والمراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى وتمجيد وثناء عليه وتفويض اليه والنصف الثانى سؤال وطلب وتضرع وافتقار

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

واجتناب الغفلات فقد اشتملت على مالم يشتمل عليه غيرها من العبادات فى مخالفة العادات . وجعلت مواقيتها متقاربة ليكون العبد بفعلها مجددا لعهده بقربه من مناجاته لربه فتذكره بأنواع من الأذكار الجالية لظلام الأسرار الجالبة لتمام المسار . قال الله تعالى (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى) وقال تعالى (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) وقال تعالى (إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) أى ملازمون لأدائها فى أوقاتها المشروعة لها فرضا كانت الصلاة أو نفلا . ووصفها بالديمومة لتكون المحافظة عليها فى الأوقات المعهودة المنصوبة لفعلها . هذا من حيث ظاهر اللفظ المشعر به عند علماء الظاهر . وأما عند علماء الباطن فالمراد بديمومة الصلاة مراعاة الأنفاس والخطرات بصون النفس عن اتباع الشهوات وامتداد الرغبات الى اتباع اللذات ومباعدة التبعات . ومقاربة القربات ومنافرة الأهوية فى جميع الحالات . لأن الصلاة اما من التصلية وهى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

تقويم العود المعوج بالنار واما من الوصلة لصلتها
بالقرب من الرب بعد البعد عنه فمن لم يقم على تقويم
نفسه باجتهاده فى صلتها بمولاها وانقطاعها له لم يكن مديما
لصلاته ولا مقيما بما يسعى فيه من طلب نجاته وسياق
الكلام يشير إلى انتساق هذا النظام لأن أول الكلام
« إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا » والمراد بالانسان الجنس أى
هذا من شأن ابن آدم كما فى قوله تعالى « إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى » والمعنى لا ثبات له ولا استقرار على
حالة واحدة فهو هلوع أى سريع التنقل من حالة إلى
أخرى من قولهم ناقة هلوع إذا أسرعت فى سيرها ثم فسر
الهلوع بقوله « إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا » أى كثير الجزع
عند وقوع ما يكره من الفقر والمرض وخلاف ما يؤثره
ويختاره فهو لا صبر له على المكروه « وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ »
أى المال « مَنُوعًا » أى كثير المنع لما ينبغى بذله من

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الأموال عند الغنى وهذا كقوله تعالى « خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ » ثم قال « إِلَّا الْمُصَلِّينَ » أى الذين باينوا ما عليه جبلاً اكثر الخلق من الملابسة للوصف الذميم . فقاموا بوظائف الخدمة وفارقوهم بالديمومة فى إقامة قلوبهم على إقامة الاستقامة بتطهيرها عن أنجاس الأفكار المدامة فيما يقضى عليها بالزام الملامة . فأنسوا بقربه واستوحشوا من عتبه وكانوا ناظرين له فى مظاهر مبدعاته فتجلى لهم منه ما شغلهم عن الهلع عند تغير الأحوال وتكرر الحوادث والأهوال . إذ كانوا له مراقبين ولسواه مباينين فبان لهم من أنواره ما كانوا به حامدين له على جميل آثاره . وهذا متوجه من حيث المعنى متمكن من حيث المبنى فان حمل اللفظ على حقيقته فى الديمومية ههنا حاصل وثم فى وقت الصلاة ومالا يتقيد بزمن أولى مما يتقيد بزمن فانه أكثر فائدة فالمعنى على هذا طلب المحافظة على مراعاة آثار أقضية الله فى خلقه والسكون إلى مجارى أقداره فى نفسه وفيهم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بحيث لا يظهر فيه مذموم صفة الهلع بل ينظر إلى تصرف الله تعالى فى الخلق ويقيم له الأعذار . ويديم بقرع بابه الافتقار . روينا عن ثابت البنانى عن أنس قال « خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سنِينَ وَاللهِ مَا قَالَ لِى لِشَىْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا » أخرجه مسلم واللفظ له . قلت هذا القدر إنما تحلى به عليه الصلاة والسلام وتخلق به لما تجلى فيه من أنوار الجمال على سره فنظر إلى مقدور الله وتدبيره لخلقه وأعرض عن تحصيله لمقاصد نفسه بعلمه بحسن اختيار الله تعالى له فى مصادر أموره ومواردها . وأنه لا يفوت منها ماقسم له أن يناله وهذا وإن كان معترضاً فيما قصدناه إلا أنه متمم لما رسمناه فلنرجع لما ذكرناه ونقول : —

اشتملت الصلاة من أفعال القلوب على فرض وندب

أما الفرض فالنية ليتميز بها عن فعل التلاعب والاخلاص لتتخصص إضافتها لله وحده فقد قال الله

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

تعالى « أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » وقال تعالى « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » والايمان لأنه الأساس الذى عليه تثبت صحة الأعمال والقطب الذى عليه مدارها وأما الندب فالمحافظة على التذلل لله بالتضرع والخشوع والملاحظة لتدبر معانى التلاوة والأذكار الشاهدة للقلب بالاقبال والخضوع . وقد اجتمع فى الصلاة حقوق مشتركة ومتميزة منها واجب ومنها مستحب . أما المتميز فالشطر الأول من الفاتحة حق الله تعالى لما اشتمل عليه من الثناء والثانى حق المصلى لما فيه من سؤال الهداية . والمشترك العبادة والاعانة إذ التوفيق منه مبداه والقبول اليه منتهاه والقوة منه مددها . فهذان حقان أوجبهما الله لعباده على نفسه كرامة لهم وتشريفا والأحاديث بذلك شاهدة : وأما التكبير والتسبيح والتلاوة والثناء على الله سبحانه فمختص بالرب سبحانه . وأما الدعاء فى الجلسة بين السجدتين فبالعبد يختص لأنه يجنى ثمرته وإن تضمن بسؤاله اعترافا

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لعظمة الله سبحانه وافتقار العبد بذلته لعزته ولا واجب
من الأذكار والتكبير سوى تكبيرة الاحرام . وأما
التشهد فأوله مفتتح بالثناء على الله تعالى وذلك حقه ثم بحق
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بحق المصلى وجميع الصالحين
بالسلام ثم الجمع بين حق الله تعالى وحق الرسول بالشهادتين
ثم الدعاء لنفسه وللمؤمنين ثم الختم بالتسليم الذى به يقع
حل عقدة الصلاة وفيه إشارة إلى حصول السلامة من الله
فى الدنيا بالأمن من الشرور والآفات . والرحمة فى الأخرى
بالأمن من العذاب والهلكات . فتأمل أيها المكلف المشرف
بعبادة مولاه ما اشتملت عليه أعداد ركعات الصلاة من
الفوائد . وانتظمت به فى السجدات والجلسات من جميل
المقاصد . وكيف ابتدأ أولها بالتكبير ثم بطلب الاعانة
والهداية التى هى أعظم المهمات . ثم ختم بالتحيات التى
هى ثناء على رب البريات . ثم تلاها بالأهم وهو الرسول
صلى الله عليه وسلم . ثم بالمصلى ثم بسائر الصالحين . ثم ختم ذلك
بالسلام — الذى هو تحليل — المقتضى للسلامة من الآفات

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والشرور فى نفسه ومن حضره من المصلين . ومن غاب عنه من الموحدين المطيعين . لاشتراك الجميع فى إقامة دعوى الدين . وفعله ذلك إشارة إلى أنه قد سلم من الآثام وتقدم ناجيا إلى دار السلام

فائدة واردة . بنجح المقاصد وافدة

إعلم أن من كانت له فطرة سليمة فانها تنبعث الى تدبر المعانى المتطور [1] على خلق الله تعالى بواسطة إمداده لنعمه عليهم إذ جعل الصلاة مفتتحة باسمه الموصوف بالمبالغة فى الكبر فهى إشارة إلى الانقطاع إلى كبره عن كل كبير فى الوجود ومختتمة باسمه السلام إشارة إلى سلامة المنقطع اليه عن الذكر فى الصدر والورود . ولما تنوعت الاذكار بين فاتحة الصلاة وخاتمتها . حصل من الاستقراء اشتمالها على الباقيات الصالحات . التى هى أحب الكلام الى الله تعالى فى جميع الحالات وهى وافية بالمقصود من توحيد رب البريات . فافتتح القيام بالتكبير الدال على العظمة المستغرقة

---

(١) كذا بالأصل وهو كما ترى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لوجوه أنواع الجلال . ثم ثنى فيه بالحمد المحتوى على شكر
المنعم المفيد لقيام صفات الكمال . ثم ثلث فى الركوع
والسجود بالتسبيح وقرنهما بالحمد المحتوى على سلب
النقائص واثبات تمام الجمال . ثم ربع بالشهادتين المشتملتين
على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» نفيا للشركاء فى جميع الأحوال
وهذا من التوحيد المشتمل على عقود العقائد وقواعدها
المحكم أصولها . إذ المعبود يتعين كماله وكماله يقع بعظمته
وكبريائه فافتتح به العبد عند القيام لخدمته فقال الله أكبر
من كل عظيم تتوهم الأنفس عظمته . أو أكبر من تكبير
من يكبره من خلقه . فانه مستغن عن تعظيم خلقه له
ويقع كماله أيضاً بانعامه وإنعامه يستحق الثناء فوقع الافتتاح
بالحمد فانه أبلغ ماجرت به العادة فى الثناء على المنعم لشموله
لجميع أنواع الثناء ثم فى الركوع والسجود بالتسبيح والحمد
ليجمع بين إثبات الكمال ونفى النقص . ثم فى حالة التشهد
باثبات الالهية لله وحده ونفى ماسواه فينشأ من ذلك استقلاله
بالتصرف فى ملكه بواسطة ملكه واستغنائه عن المشارك

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والمعين . وهذا من الأمر الواضح المبين . فجعل خاتمة الهيئات
فى الصلاة التوحيد الذى مال اليه مآل الأعمال الصالحة
فكان كالطابع عليها والعلم المنشور فيها . فاذا تأمل المصلى
ذلك واعتبره حصل من غاية التوحيد على نهاية المزيد .
وهذه هى الصلاة الكاملة التى وصفها الله تعالى بقوله الحق
«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ»
وقد ورد فى الحديث «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا» والفحشاء ما ظهر قبحه
فاجتنب فعله كما قال تعالى «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً» وقال تعالى
«أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» والمنكر ما وجد الانكار عليه فعلا كان
أو تركا كترك الصلاة والصوم أو فعل الزنا وأكل
مال اليتيم وهو ضد المعروف ثم ذلك يختلف فينقسم
الى ظاهر وباطن . أما الظاهر فما زجر الشرع
عن فعله وتوعد عليه بالعذاب الشديد كالكبائر

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وأما الباطن فكل نيـة مذمومة وعقـد قبيح كالحسـد والـكبر والرياء وثمرة ذلك وان كانت ظاهرة مؤثرة فى الخارج متعدية الى الغـير إلا أن أصلها مستقر فى القلب ثابت وعنـه ينشأ . فهذا مايتعلق بها من حيث الظاهر . وأما الفحشاء عند المحققين من أرباب الاشارات فهى رؤية الأعمال والاعتداد بها والاعتماد عليها . والمنـكر طلب ثوابها والعوض عنها فان ذلك خروج عن حد العبودية لواجب الربوبية لأن وظيفة العبد القيام بوظائف الخدمة دون طلب الجزاء . وهذا قد ينـكره كثير ممن لم يصل اليه فهمه . ومعذور من كذب بمـا لم يحط به علمه .

فعليك أيها المكلف ان كنت تراعى حق الله عليك وخلاص نفسك أن تـكلف نفسك الخروج عن عوائدها بأن تقطع حالة الوقوف بين يدى الله ما كنت فيه مستمرا وعليه متماديا من الغفلة التى هى مثار ضرب المسكـنة على العبد والذلة حتى تتلذذ عندمفاتحته ومناجاته بتلاوة كتابه وفهم خطابه . وتحضر قلبك عند ثنائه وتسبيحه ودعائه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وتأنس بالأنس به . فيعيذك من الوحشة منه ويكتب لك صلاة كاملة . وتلك لك نعمة شاملة . ومن الله نسأل التوفيق للاعانة على القيام بما يجب من حقوق الاله المعبود فهو المبدىء المعيد لما يخفيه فينا ويظهره من الكرم والجود فتنبه

(خاتمة لما نحن فيه)

روى الترمذى فى فضائل القرآن عن أبى هريرة رضى الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ يَا أُبَيُّ وهو يُصَلِّى فَالْتَفَتَ أُبَيٌّ فَلَمْ يُجِبْهُ فَصَلَّى أُبَيٌّ فَخَفَّفَ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِى إِذْ دَعَوْتُكَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّى كُنْتُ فِى الصَّلَاةِ قَالَ أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أَوْحَى اللهُ الَىَّ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

أَنْ اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ اذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قَالَ بَلَى وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ قَالَ أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِى التَّوْرَاةِ وَلَا فِى الْإِنْجِيلِ وَلَا فِى الزَّبُورِ وَلَا فِى الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا قَالَ نَعَمْ يَارَسُولَ اللّٰهِ فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ تَقْرَأُ فِى الصَّلَاةِ قَالَ فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فِى التَّوْرَاةِ وَلَا فِى الْإِنْجِيلِ وَلَا فِى الزَّبُورِ وَلَا فِى الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِى أُعْطِيتُ» وقال فيه هذا الحديث حسن صحيح وأخرجه النسائى واختلف فى تسميتها بالسبع المثانى فقيل لأن الله تعالى استثناها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يعطها امة من الأمم قبلهم وهو معنى قول (١) رضى الله عنهما وقيل لأنها تثنى فى كل ركعة

---

(١) بياض بالأصل

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وفى كل صلاة بمعنى تعاد وقيل المراد القرآن كله لأن القصص تثنى فيه أى تكرر ولأنه يشتمل على محكم ومتشابه وله ظهر وبطن وحد ومطلع . فهذه المعانى تثنى فيه أى تكرر وقد ورد فى رواية أخرى « هِىَ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَهِىَ السَّبْعُ الْمَثَانِى » فكانت أم القرآن لأن القرآن من فاتحته إلى خاتمته يؤم ما فيها أى يقصد ما اشتملت عليه من المعانى المودعة فيها مما نبين ذكره إن شاء الله . أو لأن الله تعالى فتح بها من خزائن الغيب على رسوله فنال بها لذة مناجاته وجميل مصافاته . وكانت أم الكتاب يعنى اللوح المحفوظ . لأنه يؤم المقاصد التى قامت بها بكتبها فيه إذ الحمد المعرف يستغرق أنواع الحمد المعهود لله جملة وتفصيلا . والله اسم جامع لجميع الأسماء الذاتية والصفاتية واللوح المحفوظ اشتمل على الوقائع الجارية فى الوجود قال الله تعالى « وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ » وصح من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الله عليه وسلم « كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ » وفى رواية أخرى « وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ »

وكانت السبع المثانى اما لأن قراءتها تثنى فى كل صلاة وأقل الفرض ركعتين أو لأنها تشتمل على سبعة فصول وسبع آيات وسبعة أسماء . والفصول هى الالهية . ثم التوحيد لها . ثم الربوبية . ثم النبوة . ثم التعبد بشريعة النبوة . ثم الأمانة وتحملها عند أخذ العهد . ثم الاعتبار فى ذلك فانه مفتاح السعادة . ومصباح الزيادة فى الارادة ويشهد لذلك ما ورد فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المتقدم « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ » الحديث والاسماء فيها سبعة خمسة ظاهرة : الله والرب والرحمن والرحيم والملك . واسمان مضمران مفهومان . من صفة الحمد الحميد ومن أثر الصفة والاسم للاعانة فى قوله تعالى « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » والآيات سبع بالاتفاق عند من أثبت البسملة أو نفاها . فهى القرآن العظيم لاشتمالها على هذه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

المعانى التى هى أصول الاسلام وهى لا توجد فى سواها فالسبعة الفصول والاسماء والآيات كلها مثانى . لانها تثنى بعضها على بعض أى تنعطف وتتصل تناسبا وتقارباً قال الله تعالى «ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» فاعلمنا ان القرآن كله مثانى . وسمى بذلك إما لان القصص تثنى فيه أى تتكرر . وإما لانه يشتمل على أسماء وصفات تثنى على ما تنوع من الخطاب فيه وتقشعر عند سماع الخطاب قلوب الخائفين من سطوته . الخاشعين لجلاله وعظمته فالفاتحة اذن سبع آيات من المثانى كما ورد فى الحديث المتقدم وهى القرآن العظيم الشامل لما تبدد من المعانى فى القرآن وآيه الشريفة المنيفة المطول منها فى المقصر فانها آتية على على أكثر مقاصد القرآن . وافية لمن تدبرها بما فيه شفاء الصدور من الشك بنور الهدى والايقان . وقد ذكر أهل الاعتبار أن لمقاصد القرآن عشرة أوجه الكلام فى الذات

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والصفات والأفعال وتزكية النفس وهى مجانبة الأفعال الذميمة كما قال تعالى « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » وتحليتها بالاستقامة وهى فعل ماندب الشرع الى فعله من الخصال الحميدة وتلك هى الصراط المستقيم المشار اليه بقوله « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا » وعلم حال الموالى والمعادى من المهتدى والضال فى الحال والمآل. فهذه الثمانية قد اشتملت الفاتحة عليها صريحا. ونفى مجادلة الكفار وأحكام الحلال والحرام لم يجر ذكرهما فيها صريحا وان أمكن الاستقراء لهما من قوله « الْحَمْدُ لِلهِ » معناه احمدوا الله فالمعنى واجب عليكم أن تحمدوه أو حرام عليكم ترك حمده ومن قوله « اهْدِنَا » معناه قولوا اهدنا وقوله « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » فيه إشعار بأن ثم من ينكر ذلك اليوم من الدلالة على ملكه ليوم الدين بكونه رب العالمين لعدم إنكارهم لالهيته ههنا كما قال تعالى « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ » فكأن تحصيل الكلام ههنا كما أنه
إله ههنا فكذلك فى الأخرى فكانت القرآن العظيم بهذا
الاعتبار لأنها أجمع سورة لما تفرق من المعانى فى القرآن
مع قلة عدد آيها . ولما كانت وافية بهذه المعانى الثمانية أمكن
أن تكون أسناناً لمفاتيح أبواب الجنة الثمانية . ومن ههنا اقتضت
الحكمة تكرارها فى الصلاة لتكرر فتح أبواب الجنة
بتكرار تلاوتها وذلك كما أن المصلى أمر أن يسجد على سبعة
آراب وأبواب النار سبعة فيكون فعل الصلاة دافعا لشر
النار مغلقا لأبوابها عنه لاستعماله فيها السبعة الأعضاء التى
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيها أنه قال « أُمِرْتُ
أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ آرَابٍ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ
وَالْقَدَمَيْنِ » قال المصنف لطف الله به وقد وقع لى أن كلمة
التوحيد وهى « لا إله الا الله محمد رسول الله » سبع كلمات
فمن قالها أغلقت عنه أبواب النار السبعة التى يستحق الخلود
فيها من أشرك بالله سبحانه فكأن قوله لكلمة التوحيد

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

أغلق عنه الخلود فى أى منزل أدخل اليه من أى باب كان
من أبواب النار السبعة . فقد اشتملت الصلاة على
مايفتح أبواب الجنة ويغلق أبواب النار فالتالى للفاتحة
تستروح روحه أنس القرب وراحة القلب وينشرح
صدره . وتنبعث مواد أشواقه الى الازدياد من إصلاح
المعاد بالاقبال على التأمل للمعانى المودعة فيها والأسرار
المتضمنة لها الناشئة عن تدبرها ولولا التلذذ بالمعارف
الروحانية فى دار الابتلاء والامتحان . والاستعداد للانتقال
عنها الى دار الراحة والأمان . واعداد القرب فيها لسكان
الجنان . لما فاق شرف الانسان على غيره من الحيوان
ولكان كالبهائم أكلا وشربا ومطعما ومنكحا
ولهوا وغفلة . ولأجل ذلك قال الله تعالى فى حق
بعض أهل الجنة «وَفِيهَا مَاتَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ»
وقال تعالى «انَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فى شُغُلٍ فَاكِهُونَ»
وقال تعالى فى قوم آخرين منهم «يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ»

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ثم قال فى حقهم «وَمِزَاجُه مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» فهؤلاء هم الواردون الصادرون الحافظون لعهود الله الواعظون بأفعالهم لا بأقوالهم «أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» أى على أدائها فى أوقاتها المشروعة لها يواظبون أو المعنى أنهم على استقامة قلوبهم مع الله عز وجل فى السراء والضراء عاكفون لأن الصلاة تقوم المعوج فى الاقوال والافعال كما يقوم ما اعوج من الأعواد بالنار «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ» الحائزون لذخائر الأجور والمثوبات بالاستعمال للطاعات أو لذخائر الأنفاس فى السرائر . ومفاخر الآثار فى البواطن والظواهر فهم لنعم الله عليهم شاكرون ولكرم ما أولاهم من الجميل ذاكرون «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»

فمن نظر الى كلام الله بعين التأمل والفهم ازداد بصيرة فيه . ومن أدبر عن تفهمه وكان مقوما لحروفه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

محرفا للكلم عن مواضعه فقد أساء لنفسه اختيارا . وفاء الى فيئة الهوى الهاوية فى درك الجحيم جرأة واغترارا . وهذه حكمة من تدبرها ظفر . ومن نفر عن فهمها خسر وبهذا تم المطلب الثالث

المطلب الرابع

فى اعتبار مااشتملت عليه الصلاة من الأسماء والصفات . واختبار مايظهر فيها من الأسرار ونفيس العطايا والهبات

اعلموا أن الأعمال شجرة غرست فى تربة الايمان وثمرتها المؤداة منها الخشوع . ولذلك أثنى الله عليهم بالفلاح وهو الفوز من الهلاك فى قوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) فالخشوع فى الصلاة يقع فى أربعة مواطن من الأفعال فى القيام والركوع والسجود والجلوس وفى أربعة أنواع من الأقوال الثناء والقراءة والتسبيح والدعاء . وقد اشتملت من الأسماء التى هى مظاهر معانى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الحق فى موجوداته به أقامها وأبرمها وأحكمها . وبها كلمة
التقوى فى قلوب العارفين ألزمها . فمن رزقه الله فهمافيها
كان منه بالمكان العلى وهو الحرى بأن يطلق عليه فى حياته
ومماته اسم الولى . ولما تقرر أن الصلاة أشرف
الأعمال لما اشتملت عليه من الفوائد فى الحال والمآل
ولذلك قال فيها عليه السلام «أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ » أى كنا
فى تعب بتأخيرها عن وقتها فأرح تعبنا بفعلها حتى تشتغل
خواطرنا بسواها من الأعمال المطلوبة منا أو أدخل
الراحة علينا بفعلها حتى تتلذذ الروح بما تجد من روح
القيام بين يدى الله تعالى وطلب مرضاته ومناجاته والعرب
إذا دعت للشخص قالت له أقر الله عينك وإذا دعت
عليه قالت أسخن الله عينه فكان عليه السلام يجد فيها
من لذيذ المناجاة وبرد القرب والرضا عن الله والاشتغال به
ما يحبب اليه عملها فى أكثر الأوقات ويتجلى له فيها مالا
يتجلى له فى غيرها وإن كانت أشق على الأنفس منها
وقد اشتملت الصلاة من أسماء الله الحسنى على ما ينبغى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

أن يتبين للبيب معناه . ويتزين به الأريب في سره ونجواه
فنقول : اشتملت من الاسماء على الاسم الجامع للذات
والصفات وهو الله ثم الكبير في قوله « الله أكبر » ثم
الفاطر من قوله « فَطَرَ السَّموَات » في التوجه والمحمود من قوله
« الْحَمْدُ لله » والرب والرحمن والرحيم من قوله « رَبِّ الْعَالَمِين
الرَّحْمٰن الرَّحِيم » والملك من قوله « مٰلِكِ يَوْمِ الدِّين » والمعبود
من قوله « نَعْبُدُ » والمعين من قوله « نَسْتَعِينُ » والهادى من قوله
« اُهْدِنَا » والمنعم من قوله « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » والمجيد من قوله
« أَهْلَ الثَّنَاء وَالْمَجْد » واشتمل القنوت عند من يرده على أسماء
منها الوالى في قوله « وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ » والواقى في قوله
« وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ » والمتعالى في قوله « تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ »
فقد اشتملت من أسماء الله الحسنى وصفاته على ما يقضى
لمن حافظ عليها بالشرف الأعلى . فمن تدبر معانيها نال المنزلة
العليا في الآخرة والأولى . ولما كانت الاسماء منقسمة إلى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

قسمين اسم ذات كقولنا الله واسم صفة كقولنا الرحيم
جمعت الصلاة النوعين لتستوعب ما يتعلق بالمقصود من
اسم المعبود ويلاحظ عند ذكر كل اسم منها ما يليق بذلك
الاسم من التعبد به حتى يتحقق له الحضور ويستوثق له
الأنس بالله والسرور . وليرتب معانيها فى مواضعها
ولينزلها فى أماكنها . فليستحضر عند اسمه الله
ولهالعقول به وعليه . أومآلها له واليه . وعندقوله أكبر
كبر بحيث لا كبير فوقه بل هو فوق كل كبير وكل كبير
بالنسبة اليه صغير وفى قوله «فَطَرَ السَّمٰوَاتِ» أى ابتدع
إنشاءها وابتدأ اختراعها على غير مثال يحتذيه . وهكذا
فيمابقى من الأسماء ولو تتبعنا مافى كل اسم من المعنى أطلنا
ومن أراد ذلك نظره فيماشرح من تقدمنا من أسماءالله الحسنى
وليعلم من له طلب فى تحقيق المعارف أن المقصود من ذكر
الأسماء إنما هو التعريف بالمسمى المشار اليه بالصفات
المعرفة له بحضوره فى الذهن وسبق العلم بوجود التسمية
له حتى يلاحظه الذاكر عندذكره ويشعر قلبه بما تضمن

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ذلك الاسم من المعنى الموافق له المطابق لمعناه . ولو تتبعنا
مايليق بكل اسم أطلنا : وقد تكلم الناس فى شرح معانى
أسماء الله الحسنى وأطالوا الشوط فى تفسيرها . وما لها من
الاشتقاق والاعتبار والتعبد بها . فمن أراد ذلك طلبه من
أماكنه . وحاصل أسماء الله الحسنى تدور على قيام صفة
الكمال فى ذاته وموجوداته وعن ذلك ظهر صفة الجمال
فى ابداع الموجودات . وأنواع المصنوعات . وصفة الجلال
فى اعدام المبدعات . واحكام المخترعات . ومن الجمال ظهر
أثر الفضل على الخلائق . وأثر العدل فى انتظام الحقائق
فبذلك قام القسط . ودام الضبط . ووجد التعبد . وفقد
التعدد . ومن على ماقلناه اعتمد . وجد بعد أن فقد
وصدر بعد أن ورد . وأقر بعد أن جحد . ووصل إلى
مامن الأمر له قصد

ولنختم ذلك بقاعدة فيها حكم متوارد . قاعدة
شاهدة بمنة قاصـــد

اعلموا أن المقصود الأعظم من العباد التعبد لله بامتثال

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الأمر والنهى . والانقياد لطاعة الرسل صلى الله عليهم وسلم المبلغة عن الله عزوجل فانهم الوسائط والروابط بين الخلق والحق . والمقصود من التعبد الوصول إلى الله والقرب منه بالأنس به فى الدنيا . والقدس للنفس بحملها على المشاق والتنعم فى الآخرة برفعة الدرجات فى الجنان العلى . وبسط بساط القرب فى جناب العلى الأعلى . والوصول اليه فى هذه الدار إنما هو التمكن فى مراتب العلم واليقين . والتحصن بالتخلق بأخلاق المتقين الموقنين من حمل النفس على الرياضة . وصونها عن الغضاضة . وقد يقع ابتداء من الله تفضلا . وبوسائط من هداية واجتهاد فى الأذكار توسلا : كما قال تعالى «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» «إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِى الْأَلْبَابِ» «تَذَكَّرُوا فَإِذَاهُم مُّبْصِرُونَ» «إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» فبالذكر والفكر . والتدبر والاعتبار . يحصل الوصول إلى مقام المقربين والابرار . ولما شهدوا ماشاهدوا

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

من الوصول بالذكر قالوا « رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا »
إلى آخر الآيتين . والصلاة إذا أقيمت شروطها وأوقعت
على وفق حقيقتها اشتملت على الفكر والذكر والتدبر
والتبصر . فهى مصفية للخواطر من الكدر . منورة لظلم
الفكر . مخرجة عن أطوار العادة بما وظف فيها من التسبيح
والثناء والتلاوة والذكر والفكر الموجب للحضور
فى حضرة الملك بوصف الجلال له والتعظيم بشغل الحواس
الباطنة والظاهرة عن الحركة المفرقة للجمع معه . وتلك
الجملة من الذكر والتذكر . والتدبر والتبصر . إنما وظفت
وسيلة للعلم بالمعبود اليه وذلك هو جنة هذه الدار وهى
الجنة الصغرى والصلاة هى القاعدة الكاشفة عن أسرارها
وقد أخبر عليه السلام عن حال أهل الجنة الكبرى
فى الدار الأخرى أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس
كما أخبر الله عنهم فى كتابه بقوله الحق « دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ » فاذا سبق التذكر ترتب عليه علم

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

المذكور فلحق الذكر له بالثناء عليه بالتهليل والتسبيح كما قال صلى الله عليه وسلم للأعرابى المتكلم فى صلاته وهو معاوية ابن الحكم السلمى «إِنَّ هٰذه الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فيها شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائى. فاذن الصلاة لمن تأمل موضوعها جنة مفتحة الأبواب بما فيها من التلذذ بالذكر والتلاوة والتدبر والثناء والدعاء. وجنة مانعة من نزول العذاب بحفظ الحواس. وصونها عن الوقوع فى مهواة المخالفات. فان المصلى يتردد بين ثناء وتوحيد. وتهليل وتحميد. فى أفعال متغايرة من قيام وقعود. وركوع وسجود. ومن قام بتلك الوظيفة فان الله سبحانه يذكره كما يذكره قال تعالى فى كتابه العزيز «فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ» وفى الحديث الصحيح «مَنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى وَمَنْ ذَكَرَنِى فِى مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

فى مَلأ خَيْرٍ منهُ » فهو قد أثنى عليهم بذكره لهم فى غيبه فأوصلهم اليه ولم يحجبهم عنه بما أبداه من معانى أسمائه وصفاته المتجلية على جميع موجوداته بل ناجاهم فى ظهر الغيب بجلاله وناداهم بما بهر عقولهم من نور جماله فهم بقدسه فى صلاتهم يتنعمون . وبأنسه فى قيامهم بين يديه يتمتعون . ومن تأمل ماذكرناه من المعانى المودعة فى الصلاة . فان صلاحه قد غدا بسعده وراح . وفلاحه قد بدا بمجده ولاح . وهذه دقيقة يتعين التنبه لها فى المساء والصباح . فنقول : —

كل ذكر أو تلاوة أو ثناء أو تسبيح أو حمد أو دعاء فى الصلاة ينبغى أن يتأمل القائل له معناه . ويعول على ملاحظته لمبناه . وأن يعمر سره بفهمه حتى يواطىء فكره بقلبه نطقه بلسانه ولا يشغل عن ملاحظة ما هو فيه من ذكر أو ثناء بغيره وان كان أتم منه أو أكثر ثواباً بل يجمع فكرته ويحبس نفسه على تدبر ما هو مشتغل به وناظر فيه ولا ينتقل عنه الى غيره حتى يكمله

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ويتأمل كل كلمة وما يقصد منها وما تشتمل عليه من رغبة أو رهبة أو دعاء أو ثناء أو ذكر. فان كان فى ذكر قدر أنه حاضر بين يدى المذكور يخاطبه. وإن كان فى ثناء قدر كأنه بين يدى الله يثنى عليه. وإن كان فى دعاء قدر كان المدعو يسمعه فهو يلح فى الدعاء ويرغب فى الثناء. وإن كان فى تلاوة قدر كأنه يسمع من الله عز وجل. فاذا اعتمد ذلك كان له عن كيد الشيطان حارسا. وعن اختلاسه لصلاته منه حابساً. وقد تعرض له فى صلاته وساوس بذكر الجنة والنار. والمعاصى الصغار والكبار. فلا يلتفت إلى تلك الأفكار. فان ذلك شاغل له عن التوجه فى صلاته بقلبه. ومبعدله عن التعبد المؤذن بقربه من ربه وليس هذا وقت الفكر الذى يخرجه عن تلك الحال. فانه قد جعل لكل مقام مقال. وحصل لكل عمل رجال فالكامل منهم من إذا شغل وقته بشىء أحكمه. فاذا انهاه نهايته تحول عنه إلى غيره. وأما عند التلاوة فليلاحظ معانى الآيات. وماهى مشتملة عليه من المعانى والاشارات

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بعد إحكام ماقام بها من أنواع العبارات . فيتدبر معنى كل كلمة من طرد أو بعد على فعل نوى الاقلاع عنه ان كان فعله والامتناع عن الوقوع فى مثله ولا ينتقل عنها حتى يفى بما اشتملت عليه من المعانى بقدر وسع ذهنه وإمكان فهمه . كما اذا قرأ آية فيها ترغيب فى فعل البر والمعروف أحب المبادرة إلى فعله ليحصل له الثواب على ما قصده أو نواه . أو آية فيها محبة لله عز وجل وتذكير بنعمه جعل محبته وشكر نعمته الذى خولها له نصب عينيه فشغله ذلك عن النظر فى غيرهما . أو آية فيها ذكر القرون الماضية والأعصار الخالية وما نزل بأهلها عند المخالفات وإطالة المنازعات لما جاءهم من الرسالات من احلال العقوبات مثل أنه مخالف وأنه مستحق للعذاب بارتكاب ما نهى عنه . أو آية فيها بشارة أو إنذار . بجنة أو نار . مستحضرا الخوف أو الأمن فى وقت ذلك بقلبه وقدر أنه شاهد ماذكر له رأى عين . أو قرأ آية تشتمل على توحيد المعبود

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

تامل ما يليق بها من المعنى المقصود . ولنضرب لذلك امثلة يستعان بها فى الصدور والورود .

المثال الأول قراءة سورة يس

روى قتادة عن أنس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس وَمَنْ قَرَأَ يس كُتِبَ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ» أخرجه الترمذى وقال هو غريب

وإنما كانت قلب القرآن لوجهين . أحدهما أن القلب فى الآدمى هو معدن الفكر والأسرار . وموطن السر فى الاعتبار . فكذلك هذه السورة فى القرآن لاشتمالها على أكثر مافى القرآن من الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتصديق بالرسل عليهم الصلاة والسلام وذكر ماجرى عليهم من المكذبين بهم وقبلهم فى ذات الله وذكر البعث والنشور والآيات الدالة على

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وجود ماأعد الله لخلقه من المصالح ومجارى الشمس والقمر وتقدير منازله على ترتيب الأصول وختمها بضرب المثال فى إحياء الأموات بأن من أنشأ لا من شىء قادر على أن يعيد ماأعدم إلى غير ذلك من المعانى الدالة على عظمة الله وتوحيده

وثانيهما أن القلب هو الخيار من كل شىء والباطن منه فكانت سورة يس كذلك لأنها اشتملت على مالم يشتمل عليه ماهو بمثابة عدد آيها من السور فكانت قلبا له أى خيارا يقال هذا قلب القوم أى خيارهم وأشرفهم وسيأتى الكلام فى معنى شرف بعض القرآن على بعض فاذا قرأ فى مفتتحها تدبر مافيها من أخبار الأموات وإحاطة علمه بهم وبكل شىء من الموجودات ومن ضرب المثل بقوله «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً» فى مختتمها «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً» «سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» ومن ذكر النعم باحياء الأرض بالنبات وتفجيرها

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بالمياه ومن ذكر خلقه الأزواج كما قال تعالى «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» أى صنفين يكون أحدهما زوجاللآخر كالذكر والأنثى وكما قال تعالى «ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ» كل ذلك دلالة على عظمة الله تعالى وعلو شأنه

فان قيل كيف يكتب له ثواب قراءة القرآن عشر مرار وقراءة القرآن أكثر مشقة ومهما كانت المشقة أكثركان الثواب أكثر: قال المصنف أمده الله بعنايته الجواب عنه من وجوه. أولها أن ذلك من باب الفضل الحاقا للأخف برتبة الأشق وذلك من باب الفضل والكرم وثانيها أن المراد المشتمل على مافى سورة يس من المعانى وتكون الألف واللام للمعهود أى يثاب قارؤها بمثابة من قرأ مثل ماتضمنت عشر مرار فان الحسنة بعشر أمثالها وقد يطلق اسم الكل على البعض تجوزا. وثالثها أن من قرأها بمثابة من قرأ بقدر سورة مثلها عشر مرات زائدة على أجور الأحرف عند التلاوة تشريفاً لها على

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

غيرها . وقد يطلق اللفظ عاماً ويراد به الخصوص كقوله تعالى « أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ » أى من الأرض التى أفسدوا فيها . وللعلم بذلك استغنى عن بيانه

المثال الثانى سورة الاخلاص

صح من حديث أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » أخرجه الأئمة

فاذا تدبرها التالى لها وجدها تفى من التوحيد لله تعالى بما لا يفى به غيرها . وسبب نزولها ما رواه أبو العالية عن أبى بن كعب رضى الله عنه « انَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا يَارَسُولَ اللهِ انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ فَالصَّمَدُ الَّذِى لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَىْءٌ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

يُولَدُ إلَّا سَيَمُوتُ وَلَيْسَ شَىْءٌ يَمُوتُ إلَّا سَيُورَثُ وَإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ قَالَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ » وأبو العالية اسمه رفيع أخرجه الترمذى . فليستحضر عند تلاوتها معنى توحيد الله فى قوله « الله أحد » وليجرد ذاته وصفاته عن الموجد والموجب لها إذ كان هو المستقل بالايجاد والايجاب لما يشاء من الانشاء فيما أظهر وأخفى من الموجودات فلا قيم له فى ذاته ولا شبيه فى صفاته وليفرد ذاته بالقدم فلا أحد يلحقه بأولية وآخرية . فهو قبل كل أول وبعد كل آخر كما أخبر عن نفسه بقوله « هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » وليوحده فى الالهية فلا إله فى الخلق غيره . وفى أفعاله فلا خالق لفعل سواه فى أمره ونهيه . فلا حكم إلا لله وحده . وكما توحد فيما ذكرناه فقد توحد فى صفة الجلال والجمال وعنهما نشأ العدل فى الفعال . والفضل فى النوال . وبهما قامت

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

صفة الكمال . فلا كامل ولا جليل ولا جميل سواه على
اختلاف الأحوال . وإنما أسقط الألف واللام ليحقق
أن هذا الوصف له أزلا وأبداً كان فى قدمه حيث لا عين
ولا أثر فهو له ملازم . وعن أحديته كانت العوالم . وقد
اختلف فى الفرق بين الواحد والأحد والصحيح الفرق
فان القائل إذا قال ما جاءنى واحد احتمل أنه جاءه أكثر
من واحد واحتمل أنه ما جاءه واحد ولا تقول جاءنى أحد
فالأحد مصدر الواحد من حيث أن الواحد متركب مع
مثله ويضاف اليه سواه فيصير اثنين حتى ينتهى إلى العدد
المقصود . والأحد لا يتركب مع غيره ولا يضاف . فتميز
الأحد وتخصص عن الواحد . ولأجل ذلك نفى عنه
الكفوية لأحد من الخلق بقوله «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ»
ومن أطلق عليه اسم الأحد من الجن والانس والملائكة
فمن باب المجاز من حيث يوجد المعنى القائم بهم من
الادراك الذى يقع التمييز به عن الحيوان وهى الأمانة
المعروضة التى حصل الاباء عن حملها فى قوله الحق « إنَّا

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ » ثم
ليتامل فى قوله « اللّٰهُ الصَّمَدُ » وهو فعل بمعنى مفعول أى
مقصود وهو السيد المتناهى فى السودد والشرف أو
الذى لا جوف له . فينفى عنه التجسيم ويكون له صفة
ذات أو الذى يصمد اليه أى يقصد فى الحاجات وازاحة
الالحاحات فتكون صفة فعل يظهر بها عظمة ما قام به
من الصمدية التى تقتضى الكمال له فى السيادة وإغاثة
الملهوف والمضطر ونفى النقائص عنه واثبات الكمال له
بافتقار الخلق اليه واستغنائه عنهم . ثم ليتدبر قوله « لَمْ يَلِدْ»
وما فيه من التوكيد لما سبق من التوحيد فانه يدل على
نفى النظير والمثل والمجانس والتركيب لأن الولد نظير
الوالد ومثله فى المعنى المقصود أى لا يجانس فيتخذ
صاحبة من جنسه فيتوالد . وقد نبه الله تعالى على سر
هذا المعنى بقوله « أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ»
أى كيف يولد لمن هذه حالته وكذلك قوله « وَلَمْ يُولَدْ »

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

أى لم يكن فرعا عن أصل فيكون حادثاً أو مركباً اذ المولود يوصف بالحدوث والجنسية وهو القديم الذى لاابتداء لوجوده . ولا انتهاء لجوده . ولا يتأثر بشىء من الايجاب أو الايجاد . فانه الموجب الموجد قوله « وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ » أى من احتوى على صفات ما سبق من الكمال فليس له أحد من الخلق كفوا أى يقابل ذلك الكمال ويعارضه بمماثلة أو مشاكلة . والكفو المقابل المماثل ومنه الكفاءة فى النكاح . ويحتمل أن يريد لا يكافأ فيكون له صاحبة نفياً لها بالدليل . والعرب كانت لا ترى أن تنكح إلا من الأكفاء فلما أثبت عدم الكفاءة انتفت عنه الصاحبة تقريراً لما كان مستقراً فى زعمهم كأنه قال كيف يكون صاحبة لمن لا كفؤ له من خلقه . ولأجل ما تضمنته السورة من فاتحتها إلى خاتمتها مع قرب ما بينهما من صفات الله العلى . وتوحيد وجهه الأعلى . كانت تعدل ثلث القرآن فانها قد

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

احتوت على التوحيد إجمـالا بقوله « أَحَدٌ » وتفصيلا بباقى السورة ما لم يجتمع فى مثلها من السور . ولمـا كان القرآن يشتمل على توحيد وقصص وأحكام عدلت مافيه من التوحيد . ومثلها الحديث الذى رواه ثابت البنانى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ قَرَأَ إذَا زُلْزِلَتْ عَدَلَتْ لَهُ بِنِصْفِ الْقُرْآنِ وَمَنْ قَرَأَ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ عَدَلَتْ لَهُ بِرُبُعِ الْقُرْآنِ وَمَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عَدَلَتْ لَهُ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ » أخرجه الترمذى وقال غريب : واعتبار ذلك أَنَّ القرآن مشتمل على أحوال الدنيا وأهوال الآخرة وإذا زلزلت تتعلق بأمر الآخرة من البعث والنشور والحساب فكانت تعدل نصف القرآن وأما ان «قل يا أيها الكافرون» تعدل الربع فيحتمل أن القرآن لمـا اشتمل على ماذكرناه فى سورة الاخلاص وعلى التعبد بها للمكلف وهذه السورة لم يتعرض فيها إلا للعبادة فكانت بمثابة الربع . ويحتمل أن القرآن لمـا اشتمل على

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

عابد ومعبود ومتعبد به وهيئة عبادة كانت هـذه السورة
تتضمن هذه العبادة فكانت بمثابة الربع والله أعلم

ولما كان الكلام فى التوحيد هو أشرف الكلام
كان التوحيد أشرف العلم فان العلم تابع للمعلوم فى كماله
ونقصه ومعلوم التوحيد هو الله وصفاته فهو أشرف
العلوم وأسماها قدرا . وأسناها محتدا وفخرا . وكلام الله
تعالى وإن كان كله شريفا فى نفسه إلا أن كلامه فى ذاته
أفضل من كلامه فى غير ذاته لأن كلامه فى ذاته يجتمع فيه
شرفان شرف وصفه وشرف نسبة اليه كذلك كلامنا فى
ذات الله تعالى أفضل من كلامنا فى غير ذاته لأن العلم
بشرف المعلوم يشرف وبضعته يتضع[1] . ومن هذا الوجه

---

(١) قال الغزالى فى جواهر القرآن : لعلك أن تقول قد أشرت الى
تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكلام كلام الله فكيف
يتفاوت بعضها بعضا وكيف يكون بعضها أشرف من بعض فاعلم
أن نور البصيرة ان كان لا يرشدك الى الفرق بين آية الكرسى وبين
آية المداينات وبين سورة الاخلاص وسورة تبت وترتاع على اعتقاد
نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة صلى الله عليه

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

ذكر أهل التحقيق فى الطريق أن الأحوال الواردة مهما تعلق ابتداؤها أو انتهاؤها بالله أو كان عائدا اليه كان أشرف مما يتعلق ابتداؤه به دون انتهائه . واعتبار ذلك بمقام المحبة فانها تتعلق بشيئين إعظام وإجلال . وإكرام وإفضال فالأول أولى وأكمل . وأتم وأفضل . لتعلقه بالله بواسطة سبب التعظيم وذلك متعلق بالذات والصفات . والثانية سببها الافضال بالنوال . وهو مخلوق مطروق بالانقضاء والزوال . فالمحب بهذا الوجه معلول . قلبه بغير الله مشغول . إذ له شغل بالله من وجه . وبما أولاه من وجه آخر بخلاف الأول فانه مشغول بالله تعالى من وجهين راجعين إلى الله لا تعلق بهما للعبد فكان أتم فلأجل ذلك كان حال العظمة والهيبة أكمل من حال الرجاء والخوف

وسلم فهو الذى أنزل عليه القرآن وقال « يس قلب القرآن » و « فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن » و « آية الكرسى سيدة أى القرآن » و «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » : والأخبار الواردة فى فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب فى تلاوتها لا تحصى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

لأن الهيبة ناشئة عن الذات والصفات والخوف عن مظاهر الذات والصفات فالهائب مشغول بالله من وجهين بخلاف الخائف فانه مشغول به فكان الهائب أتم حالا . وأكرم عند الله مآلا

المثال الثالث

في اعتبار آى القرآن . ومافيها من العنوان
على شرف الأذهان . بفهم الفرقان . عند اعتبار البرهان

كل آية فى القرآن تشتمل على معنى فشرفها بشرف ما اشتملت عليه من المعنى فمهما كان المعنى أشرف كانت الآية أشرف وقد تقدم بيان ذلك بما فيه كفاية

روى عبد الله بن رباح عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ تَعَالَى أَعْظَمُ قَالَ قُلْتُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ أَعْظَمُ ؟ قَالَ قُلْتُ

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ قَالَ فَضَرَبَ فى صَدْرِى وَقَالَ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ (١) » أخرجه مسلم وأبو داود واللفظ له. فلما سأل عن أعظم آية وأخبره بما وقع له فاستحسنه منه واقره عليه وهناه بذلك علمنا أن أشرف الآى إنما هو بما تضمنته من المعانى واعتبرنا آية

---

(١) قال النووى قال القاضى عياض فيه حجة للقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله تعالى وفيه خلاف للعلماء فمنع منه أبو الحسن الأشعرى وأبو بكر الباقلانى وجماعة من الفقهاء والعلماء لأن تفضيل بعضه يقتضى نقص المفضول وليس فى كلام الله نقص وتأول هؤلاء ماورد من اطلاق أعظم وأفضل فى بعض الآيات والسور بمعنى عظيم وفاضل وأجاز ذلك اسحاق بن راهويه وغيره من العلماء والمتكلمين قالوا وهو راجع الى عظم أجر قارىء ذلك وجزيل ثوابه . والمختار جواز قول هذه الآية أو السورة أعظم أو أفضل بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهو معنى الحديث والله أعلم قال وفيه منقبة عظيمة لأبى ودليل على كثرة علمه وفيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه وتكنيتهم وجواز مدح الانسان فى وجهه اذا كان فيه مصلحة ولم يخف عليه اعجاب ونحوه لكمال نفسه ورسوخه فى التقوى

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الكرسى فكان سبب عظمها اشتمالها على مالم يشتمل
عليه غيرها من التوحيد لله سبحانه وبذلك كانت سيدة
آى القرآن وورد فى بعض الأحاديث أنها تعدل ثلث
القرآن وورد أن من قرأها أول ليله أو أول نهاره لم يقربه
شيطان . وإنما كانت سيدة الآى لانها تتعلق بمعرفة الله عز
وجل ومعرفة ذاته وصفاته وذلك هو الغاية القصوى
من أنواع علوم القرآن فان هذه الآية تراد لنفسها وما
سواها يراد لها فهى إذاً متبوعة وغيرها لها تابع ولا معنى
للسيد إلا المتقدم المتبوع الذى تتوجه وجوه الاتباع
وقلوبها اليه . وقد اشتملت على ذكر الذات والصفات
والأفعال . وهانحن نأتى على بيانها إن شاء الله تعالى فقوله
« اُللهُ » إشارة إلى الذات القديمة المقدسة المنزهة وقوله
« لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ » إشارة إلى توحيد الذات المسماة بالاسم
الشريف المقدس وقوله « الْحَيُّ الْقَيُّومُ » صفة للذات
وإثبات لجلالها فان القيوم وزان فيعول وهو صفة مبالغة
للذى يقوم بنفسه ويقوم به غيره ولا يفتقر قوامه لشىء

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

وكل شىء يفتقر اليه فى قيامه به وذلك اعظم لجلاله

وقوله « لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ » تنزيه لذاته العلية

وتقديس لشريف مجدها عن الحدوث والتركيب

وإلمام الحوادث بها . وجمع بين النوم والسنة تنبيها على

نفى الأقل والأكثر من الحوادث فتدبير الملك الواسع

إنما يكون باليقظة . والسنة مبدأ الغفلة والنوم منتهاها

فنفى عنه الغفلة قليلها وكثيرها وبدايتها ونهايتها إشارة

إلى من لاغفلة تلحقه . فلا آفة ولاخلل يتصل به أو يملكه

وقوله « لَهُ مَافِى السَّمٰوَاتِ وَمَافِى الْأَرْضِ » أى خلقا وملكا

وجاء بلفظة (ما) وان كان فيهما من يعقل لأن المراد جملة

او موجود مافيهما له وهو إشارة إلى الفعل أى إن جميع

الموجودات مواردها ومصادرها اليه وعنه وقوله « مَنْ

ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » تخصيص للشفاعة بمن

يعقل وإشارة إلى أنه منفرد بالتصرف فى ذلك الملك

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

بالحكم عليه أمرا ونهيا وتدبيرا وأن الشفاعة لايملكها إلا من أذن له فيها أى أمره بها أو أباحها له تشريفا لقدره وهذا نفى للشريك فى الحكم وقوله «يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ» أى ماتقدم أو تأخر وجوده عن وجودهم وسبق ولحق من أفعالهم . وهو إشارة إلى صفة العلم وتمييزه للمعلومات تفصيلا واجمالا . ونفيا للعلم بالأشياء حقيقة عن غيره وقوله «وَلَايُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» أى معلوماته والمعنى لامعلوم يحصل لأحد إلا أن يتكرم ويتلطف فيعلم ويفهم فيكون له علم ينضاف اليه منه مبدأه وقوله «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» أى علمه وقدرته فهو إشارة إلى سعة مملكته وعظمتها . وإحاطة قدرته وحكمتها . وأن العقول تلزم حدها ولا تتعدى طورها فى دعوى الاحاطة بمعلوماته ومصنوعاته . والكرسى مخلوق عظيم لله تبارك وتعالى بين يدى العرش

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

نسبته اليه كنسبة الكرسى إلى سرير الملك وورد تفسيره
فى حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم « مَا الْكُرْسِىُّ فِى الْعَرْشِ إلاَّ حَلَقَةٌ مُلْقَاةٌ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ
وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِىِّ كَفَضْلِ الْفَلاَةِ عَلَى الْحَلَقَةِ »
والمراد تعريفنا بعظم مخلوقاته . وعموم مقدوراته حتى
نقف على بساط الأدب معه سرا وجهرا فى الانقياد له
والبراءة من العلوم والقدر كلها ونضيف ذلك اليه فانه
يهب منه ماشاء لمن شاء وقوله « وَلاَ يَؤُدُهُ » أى لا يثقله
ولا يعجزه وهو إشارة إلى كماله فى قدرته . وتنزيهه عن
النقائص فى ذاته وصنعته . والضمير فى الهاء عائد إلى
الله أو إلى الكرسى أى لا يثقل الكرسى تعلق السموات
والأرض به وحمله لها وقوله « وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ »
لما اشتملت الآية على اثبات صفة الالهية وما لها من
احاطة العلم وتمام القدرة . ووجود القهر وإحكام

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

الصنعة . ختمها بقوله « الْعَلِيُّ » أى الكامل العلو بالقدرة على ماأظهر وأخفى من المقدورات أو المتعالى عن الأشباه والأنداد . والأكفاء والأضداد «الْعَظِيمُ» شأنه فى سلطانه وتصرفه عن أن يلحقه نقص أو ضيم فى شىء من مراداته كلها

فمن تامل هذه الآية واعتبر مااشتملت عايه من المعانى وتدبرها فى صلاته وفى مقصود العبادة . وحظى من الله بالقرب والزيادة فى السعادة . وهذا ضرب مثال لمن يفهم حتى يحدو عليه فى تدبره وتصوره لما يتلوه أو يتلى عليه من الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . حتى يأتم به من كان تاليا للقرآن . نافيا لوساوس الشيطان . ناظرا فيما يتعين عليه من اصلاح الشان . شاكرا لنعم مولاه عليه فى السر والاعلان

ومن الله نسأل الهداية لما فيه الصلاح للأديان والأبدان . والعناية منه بما فيه لآمالنا وأعمالنا النجاح

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

والفلاح على ممر الأزمان: ونحن نعتذر من الاقتصار
على الاختصار. فان ذلك وقع فى أيام يسيرة مشحونة
بالموانع والآعذار. فنسأل الله الاجارة من عذاب النار
والاصارة إلى مايقرب من جنابه آناء الليل وأطراف
النهار. بمحمد المصطفى وآله الأطهار. وصحبه الأخيار.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

---

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher



مراصد الصلاة . فى مقاصد الصلاة

للقطب القسطلانى قدس الله سره

صفحة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

صفحة

https://archive.org/details/@hisham_mohammad_taher

المطبعة المصرية بالأزهر ٣ رمضان سنة ١٣٤٩/٢٠٠٠